الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون – تيارت–

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في فلسفة العلوم الموسومة بـ

العلم والإيديولوجية " الوضعية المنطقية " أنموذجا

من إعداد الطالبين:

- عبد الله وحيدة
- توهامي عبد الحكيم

من إشراف:

- راتية الحاج

لجنة المناقشة:

- الأستاذ: بوعمود أحمد .....رئيسا
- الأستاذ: راتية الحاج .....مشرفا
- الأستاذ: حفصة الطاهر .....مناقشا

الموسم الجامعي

1435-1436هـ/ 2014- 2015م

كلمة شكر

نحمدك ربي على أن وفقتنا إلى إتمام هذه الرسالة حمدا كثيرا طيبا مباركا، كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

ونتوجه بجزيل الشكر وعظيم الامتنان والعرفان إلى الأستاذ المشرف: راتية الحاج الذي نخصه بكل صنوف التقدير والاحترام، فقد كان لنا خير عون في إنجاز هذه الرسالة، ولم يبخل علينا أبدا بنصائحه السديدة وانتقاداته البناءة، وتشجيعاته المعنوية ووقته الثمين.

كما نقف تقديرا للأستاذين الفاضلين بوعمود أحمد، وحفصة الطاهر ومن باب الاعتراف بالجميل نتوجه لهما بخالص الشكر والعرفان.

كما نتقدم بالشكر إلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد.

وإلى هؤلاء جميعا نقول... شكرا ألف شكر... وجزاكم الله عنا خيرا.

الإهداء

اهدي هذا العمل إلى من غمرتني بعطفها وحنانها أمي الحنونة . .

والى سندي وعوني و أملي في مذه الدنيا أبي الغالي .

وإلى أكثر من ساندني في مشواري الدراسي أخي الحبيب عدة الذي كان خير عون لي .

والى أختي الصغيرة غزل .

وإلى كل أخوالي وخالاتي وأعمامي وعماتي .

و إلى اعز صديقاتي : فتيحة، خديجة، خيرة، فتيحة طراري، ربيعة .

وإلى زميلي الذي ساعدني كثيرا عباس عبد الله حفظه الله ورعاه، وإلى زميلي الذي أنجزت معه مذه المذكرة

عبد الحكيم .

وخاصة الأستاذ المشرف راتية الحاج، وأبناؤه سارة وأيوب .

وتحية عطرة إلى كل من يحب وحيدة .

إهداء

إلى من ينبئ حملهم عن حبهم لا يخالفان الصدق ولا يختلفان فيه

أمي وروحي أبي الطاهرة .

إلى مهجة قلبي خطيبتي .

إلى إخوتي عزيز، عبد اللطيف، ياسين .

إلى الغالية أشواق جزاء سعة القلب

إلى أصدقاء الروح خالد ، حمزة، أمين، وحيدة، بشرة، حنان، إيمان .

إلى أساتذة الفلسفة الذين رافقوني بعقولهم وقلوبهم جزاء الجد والجهد وطيب المرافقة في المشوار الدراسي أهدي هذا العمل .

مقدمة

يعد مصطلحي أو مفهومي العلم والإيديولوجيا من أكثر الكلمات أو المفاهيم استعمالا وانتشارا وحتى توظيفا وتطبيقا في الحضارة الإنسانية المعاصرة ولذلك فإن الحديث عن هذا النمط من المفاهيم يستدعي منا تتبع مسارهما وعلاقتهما من الناحية الفلسفية والإبستيمولوجية. كما تشعنا فلسفة العلم أمام اعتبارات وإشكاليات جديدة ذات طابع فلسفي عميقة وبلغة غاستون باشلار العوائق الإبسيمولوجيا والقطيعة الإبتسيمولوجية التي أصبحت من الدراسات الجادة والمهمة في فلسفة العلوم المعاصرة، وخاصة في الفترة الأخيرة أي القرن العشرين، وهذا هو تجلي بتاريخ لمستوى الوعي الفلسفي والإبستيمي بهذا النموذج من الدراسات.

ولهذا ليس المهم أن نعرف أو نقرا ما كتب العلماء والفلاسفة حول هذه الإشكالية أو تلك، أو هذا الموضوع أو ذاك، بل الأهم أن ندرك ونفهم ما هي الدوافع والأسباب التي أدت بهم إلى التفكير فيما ادعوه، وما هي خطة ومنهج التفكير التي تختفي وراء تعبيراتهم عن تلك الإشكاليات أو الموضوعات أو القضايا.

العلم كاي إبداع إنساني لا يكون مفهوما إلا عندما نغوص في الخلفية التاريخية والحضرية وحتى المفاهيمية التي نشأ فيها وتطور، وعندها نكون قد أدركنا حقيقة العلم وما يرمي إليه، وهذه العملية ليست يسيرة إلا إذا كانت من وراءها إرادة القراءة والفهم وإرادة البحث.

ومن أسباب اختيار موضوع مذكرة نيل شهادة الماستر في فلسفة العلوم لأسباب ذاتية وأخرى موضوعية، فأما الذاتية فهي تتعلق بإعجابنا الكبير بفلسفة العلوم، ومدى أهميتها وطرحها لعدة إشكاليات إبستيمولوجية وإيديولوجية، كما أن اشتغال بعض المواقف والاتجاهات العلمية والفلسفية في إشكاليات العلم المعاصر وما أفرزه من تساؤلات أعطتنا رؤية أكثر موضوعية التي جعلتنا نشتغل على: علاقة العلم والإيديولوجيا " الوضعية المنطقية أنموذجا دراسة تحليلية نقدية".

من أهداف البحث التي نود تحقيقها وبلوغها من خلال هذا البحث تتجلى فيما يلي:

أ/ الاطلاع على حيثيات تطور العلم لا من الوجهة التاريخية وإنما من الوجهة الإبسيمولوجية.

ب/ محاولة ضبط، وتحديد جملة الأسباب والدواعي التي أدت إلى انتشار الصراع والجدل بين العلماء، والفلاسفة حول مسائل تبدو غير ظاهرة للناس العاديين أما بالنسبة للمهتمين بالبحث الفلسفي الإبستيمولوجي فهي تمثل قمة المسائل الفلسفية المعقدة التي يصعب فكها بسهولة.

ج/ محاولة تقييم جهد الفلاسفة والعلماء في موضوعات فلسفية إما كمواقف أو مذاهب، أو مناهج، أو معرفة علمية، أو نظرية.

د/ تحديد بعض المواقف الفلسفية أو ربما حتى الإيديولوجية من فلسفة العلم، وهنا سنركز على بعض الانتقادات التي وجهت لبعض النظريات العلمية ومنها الوضعية المنطقية مثل نقد " كارل بوبر " في الفكر الغربي.

هـــ/ تحديد موقفنا الشخصي من العلم والإيديولوجيا.

- تحديد الإشكالية: فلقد انتهى الأمر بالعلم في ظل التطورات التي شهدها انطلاقا من بداية القرن العشرين إلى ظهور مباحث ونظريات جديدة، داخل حقل العلم، هذا كله أدى إلى الانثناء نحو هذا الجديد في العلم ذاته ومراجعة جملة أسسه ومبادئه ومعتقداته، حيث لم يعد بإمكان منظومة المفاهيم السائدة استيعاب ما تطرحه التطورات العلمية من إشكاليات. وقد كان لذلك الأثر المباشر في طرح العديد من القضايا ذات الصبغة الإبستيمولوجية والفلسفية المتصلة بطبيعة المعرفة العلمية. ولعل أهم ما أفضت إليه هذه المراجعة ظهور مصطلح الإيديولوجيا في الفكر المعاصر التي تعبر عن منحى فكري معين لمسار اشتغال الفكر الإنساني وكيفية بناءه أو إنتاجه، لذلك يبدو ضروريا أن نولي مسألة الإيديولوجيا ما تستحقه من عناية قد تسمح لنا ببيان كيف؟ ولماذا؟ ومن أجل من ؟ تبنى وتتصور وترسم أو تكتب النماذج العلمية ؟ كما يعد من الضروري أن نتبين مشروعية الإيديولوجيا في العلم وعليه.

إن كانت الإيديولجيا منتشرة ومتداولة بصورة سياسية أكثر، هذا لا يعني بالضرورة أنه لم تكن لها تاثيرات على بنية العلم، كما أن العلم لا يخلو من أبعاد إيديولوجية كذلك. بمعنى أن العلم ليس في منأى من بعض التاثيرات والتمظهرات الإيديولوجية، بمعنى يمكننا أن نتساءل: هل

تحرر العلم من كل إيديولوجيا ؟ هل يمكننا أن نؤسس علما خالصا ؟ وما هي الانعكاسات الإيديولوجية إبستمولوجيا على بنية العلم ؟ ما مستقبل العلم بدون إيديولوجيا ؟ هل سيرتقي ويتطور أم يتراجع وتضيق دائرته ؟.

هذه التساؤلات أفرزت أطارح مختلفة أو من خلال التصورات والمواقف التي وصلت إلى حد التأكيد على أن العلم غير بريء من التأثيرات والتوجهات والاتجاهات المختلفة الموجودة في المجتمع ككل.

تحديد منهج البحث: نظرا لطبيعة الموضوع المتحكمة في مسار الموضوع، فإننا سنعتمد على منهج التحليل والنقد أثناء تتبع هذا الموضوع، كما كانت لنا رغبة في معرفة كيف تداخلت الايديولوجيا مع العلم في الفكر الفلسفي المعاصر بوجه عام وفي فلسفة العلوم بوجه خاص.

لكن هنا لابد من إدراج بعض الملاحظات المنهجية التي تتعلق بكتابة مثل هذا الموضوع وخاصة تلك الموضوعات التي تحتوي مفهومين أو أكثر مثل بحثنا هذا ونتمنى أن نفلح فيها، وهي كالتالي:

- يقوم هذا النوع من المواضيع على إقامة علاقة بين مفهومين أو معنيين، وإن بدا هذا النوع غير متداول كثيرا، لنأخذ مثالا على ذلك: الجمال والحقيقة، أو السعادة والرفاه، المساواة والإنصاف والعمل والسعادة، التواصل والكونية...
- إن هذا الشكل من المواضيع يطرح مشكلا مفترضا لكنه غير محدد.
- يحيل الموضوع إلى سياقات متعددة، تحليل نقد، وصف، مقارنة وغيرها.

كما أننا لاحظنا أن مقارنة المفهومين تكشف عن بعد أساسي يتصل بالمعيش ويكسب أهمية في مجالات متعددة بالتفكير، السياسة، الدين، الاقتصاد، الاجتماع، الفن، الأدب... إلخ.

- إن المطلوب منا معرفة أي علاقة يمكن تأسيسها بين هذا المفهوم وذلك.
- يجب إعداد تخطيط يتسم بحركية التفكير من خلال أشكلة العلاقة والتركيز عليها.

- لا يوجد معنى معطى للموضوع وإنما يتعلق الأمر بمقارنة بين مفهومين أو مواجهة أو جدل.
- إن المشكل الفلسفي يكمن في استشكال العلاقة بين المفهومين.
- إن البحث يهدف أساسا إلى كشف أو بلورة مختلف التداخلات الممكنة للعلاقة المقترحة وبالتالي تحديد طبيعة العلاقة ومضمونها الحقيقي وبالأخص تحديد مختلف الصيغ التي تكون الإشكالية.
- إن أحسن طريقة لمعالجة الموضوع في مقاربة أولية هي طرح سؤال أو إشكال: ما هي الدواعي التي تقود إلى إقامة علاقة بين هذين المعنيين ؟ ثم ما الذي يدفع إلى مواجهة هذيين المفهوميين ؟ وهو السؤال أو الإشكال المركزي الذي سوف نعالجه في مذكرتنا هذه.

يكفي أن نيجب عن هذا السؤال بالاستعانة بوجهات النظر المختلفة.

- هل العلاقة المقترحة بينهما تغطي علاقة واقعية موجودة في مجال الممارسة ؟ هل هذه العلاقة بناءة ؟ في أي سياق ؟ وتحت أي أسباب ؟ من أجل أي أهداف يحق لنا أن نقيم علاقة ؟ هل في سياق تاريخي أو ثقافي أو إبستيمولوجي فلسفي أو أنتروبولوجي أو سوسيولوجي ما تطرح العلاقة ؟.
- لماذا نواجه المعنيين ؟ وهل هذه المواجهة لا مفر منها ؟ هل التقارب المقترح بين الموضوعيين يحيل إلى علاقة واقعية ؟.

وقد اقترحنا المنهج الحواري التحليلي النقدي، وهو المنهج الذي اعتمدناه في هذه البحث.

الافتراضات الممكنة: إن إشكالية العلم والإيديولوجيا هي إشكالية إبستيمولوجيا بامتياز تناولها فلاسفة العلم والإبسبتيمولوجيين وخاصة المعاصرين منهم، لذا قد نتساءل في هذا البحث: ما الجدوى من هذا العمل ؟ إن كان لا يطرح قضايا وأفكار أو نتائج جديدة. ما الغاية من موضوعنا في هذه المذكرة؟

هل تعرض تصورا جديدا لم يتم تناوله من قبل الباحثين ؟.

حاولنا من خلال التعرض لموقف " الوضعية المنطقية " اتجاه أهم المسائل الفلسفية وفي فلسفة العلوم وبيان حقيقته وماهيته، كما نود أن نبرز ما هي النتائج التي ينتهي إليها هذا الموضوع، تلك النتائج التي تشكل في مجموعها موقفا متميزا من الحقيقة العلمية.

ومن الصعوبات التي واجهتنا في إنجاز هذا البحث كما يقول " بوترو Boutroux " : " الروح العلمية ليست شيئا جاهزا كليا وليست معطى وإنما تتشكل هي ذاتها تماشيا ونشأة العلم وتطوره ".[1] بحيث من خصائص الروح العلمية المعاصرة ذاتها صفة للفكر الفضولي المريد للاطلاع، للفكر الذي يستطيع أن يتجاوز الصعوبات العوائق والعقبات فيفكك المعقد ويجعله بسيطا.

لعل الصعوبة التي تعترضنا في هذا المقام تكمن في أن اهتمام الثقافة العلمية بإبستيمولوجية العلم وعلاقته بالإيديولوجية حديثة نوعا ما، ففي مستوى البحث العلمي تبدو الإيديولوجيا بما هو اتجاه أو تصور فكري إشكالية علمية أو فلسفية أو دينية أو سياسية أو فنية تعود أبحاثه إلى بداية القرن التاسع عشر الميلادي.

لكننا وجدنا صعوبات ونحن بصدد إنجاز هذا البحث، لعل أكثرها جدارة بالذكر قلة المصادر والمراجع باللغة العربية، إذ أن الكثير من الدراسات والبحوث حول هذا الموضوع انصبت على الدراسات التاريخية أو الفكرية وقليلة إن لم نقل منعدمة بها الموضوع.

الدراسات السابقة: إن موضوع العلم والإيديولوجيا في فكر الوضعية المنطقية من الموضوعات الجديدة نسبية في مجال البحث العلمي، أما الأمر الثاني فهو في الفكر العلمي العربي المعاصر أوفي الأبحاث والدراسات العلمية العربية المعاصرة فلا نكاد نعثر عن دراسات جادة في هذا الموضوع

[1] – محمد الأزرق، الروح العلمية في فلسفة غاستون باشلار، مذكرة شهادة الماجستير في الإيبستيمولوجيا، جامعة وهران 2004، ص 11.

اللهم إلا دراسة واحدة، وهي لـــ " زكي نجيب " نقل فيها فلسفة الوضعية المنطقية إلى الفكر العربي.

هيكلة البحث (مضمونه): اعتمدنا في هذا البحث على الخطة التالية: قسمنا البحث إلى ثلاث فصول كل فصل يتضمن مبحثين: عنونا الفصل الأول بجذور التأسيس وآليات الظهور والانتشار بحيث اعتمدنا في المبحث الأول الذي كان تحت عنوان الدراسة الجينيالوجية تطرقنا فيه إلى تعريف المصطلحات الجوهرية في البحث، أما المبحث الثاني: فقد كان تحت عنوان الجذور الفكرية للوضعية المنطقية تطرقنا فيه إلى علاقة الوضعية المنطقية بحلقة فيينا وأهم المصادر التي استسقت منها هذه الأخيرة منهجها وصولا إلى منهج متحرر من الإطلاق والغايات الأولى، ويتوجه للأشياء بنظرة علمية تحليلية، من هنا ارتبط منهجها بالعلم والواقع.

أما الفصل الثاني كان تحت عنوان جذرية العلاقة بين العلم والإيديولوجيا في فلسفة الوضعية المنطقية تطرقنا في المبحث الأول إلى السمات المعرفية والإيديولوجية للوضعية المنطقية أما المبحث الثاني كان تحت عنوان رفض الميتافيزيقا والفلسفة وتأسيس العلم على الإيديولوجيا حاولنا من خلال هذا الفصل التأكيد على إيديولوجية الوضعية المنطقية وهذا من خلال رفضها المطلق للميتافيزيقا والفلسفة بحيث حصرت الفلسفة في نطاق ضيق ألا وهو التحليل المنطقي للغة واعتبرت أن القضايا الميتافيزيقية خالية من كل معنى.

أما الفصل الثالث فكان نظرة نقدية إبستيمولوجية تطرقنا فيه إلى عرض أهم الانتقادات التي وجهت للوضعية المنطقية.

ونأمل في الختام أن نكون قد حققنا الهدف المنشود من هذا البحث، واضعين بذلك بصمتنا في ميدان البحث العلمي.

وما توفيقنا إلا بالله عز وجل، فإن أصبنا فمن الله وحده وإن أخطأنا فمن أنفسنا ومن الشيطان.

وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿**وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ**﴾ التوبة 105.

الفصل الأول

جذور التأسيس وآليات الظهور والانتشار

- المبحث الأول: الدراسة الجينالوجية (جينالوجية المفاهيم)
- المبحث الثاني: الجذور الفكرية للوضعية المنطقية

المبحث الأول: الدراسة الجينيالوجية "جينيالوجيا المفاهيم" العلم الإيديولوجيا الوضعية المنطقية الميتافيزيقا.

1-العلم لغة: نقيض الجهل ويعني إدراك الشيء على ما هو إدراكا جازما، والعلم من حيث اشتقاقه اللغوي هو ترجمة للكلمة الإنجليزية science مشتقة من اللاتينية،[1] كذلك وردت كلمة العلم في اللغة بمعنى الشعور قال الزمخشري: "ما علمت بخبرك: ما شعرت به".[2] وهو مرادف لمعنيين مختلفين، المعنى الأول مرادف للمعرفةannaissance والمعنى الثاني مرادف للعلم التجريبي[3].

إصطلاحا: العلم نور يهتدي به الإنسان و يخرج به من الظلمات إلى النور فالعلم يرفع الله به من يشاء من خلقه لقوله تعالى :"يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات" "المجادلة: الآية11".

والعلم هو مجموعة من المعارف المتجانسة والمتناسقة، أو هو مجموعة المفاهيم المتكاملة والمترابطة التي نتوصل إليها بواسطة البحث العلمي وينصب على القضايا الكلية، والحقائق العامة المستمدة من الوقائع والجزئيات والعلم ضربان: نظري يحاول تفسير الظواهر وبيان القوانين التي تحكمها كالطبيعة والرياضة ، وعلمي يرمي إلى تطبيق القوانين النظرية على الوقائع والحالات الجزئية[4].

ويكون تقويمنا للعلم انطلاقا من التصور المعياري إذ نشير به لا فقط إلى مجموعة المعارف التي يمكن وصفها بأنها علمية ، لكن أيضا إلى الصورة المشتركة بين هذه المعارف وإلى المعايير المحددة لطابعها العلمي، ومن خلال هذا تسعى الفلسفة بوصفها نظرية للعلم ونظرية للمعرفة ، تحديد الطابع العلمي لكل معرفة[5] ويقال أن العلم مرادف للمعرفة، لكنه يتميز عنها بكونه مجموعة

---

[1] – علي حسين ماهية الفلسفة، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، دط، 2006 ، ص: 54.

[2] – راجح عبد الحميد الكردي، نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، مكتبة المؤيد الرياضي، (دط)، (دت)، ص: 33.

[3] – علي حسين ، ماهية الفلسفة، المرجع السابق، ص : 54

[4] – إبراهيم مدكور، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الآميرية، القاهرة (د ط) 1903-1983 ص ص: 123-124.

[5] – جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب تونس (دط) 1991 ص: 147.

معارف متصفة بالوحدة والتعميم فمفهوم العلم اخص من مفهوم المعرفة باعتبار أن المعرفة قسمان : معرفة عامية (vulgaire) و معرفة علمية (scientifique)، و المعرفة العلمية أعلى درجات المعرفة و هي التعقل المحض، والمعرفة الكاملة، مع العلم أن العلم عند أرسطو هو إدراك الكلي، ولا علم إلا بالكليات، وغاية العلم هي الكشف عن العلاقات الضرورية بين ظواهر الأشياء، وهي غاية نظرية بخلاف المعرفة العامية، التي تتقيد بالنتائج العلمية،و تظل بمعنى ما معرفة جزئية، فالعلم يتضمن درجة كافية من الوحدة والتعميم، وبحيث يستطيع الناس الاتفاق في الحكم على مسائله بالإستناد إلى أذواقهم ومصالحهم الفردية، وإنما من خلال الإستناد إلى مابين هذه المسائل من علاقات موضوعية يكشفون، عنها بالتدريج ويحققونها مع إثباتها بطرق محددة[1].

العلم غاية في ذاته وهو معرفة خالصة، بحيث لا يمكن فصل العلم عن مشكلات المجتمعات الواقعية لأن لولاها لما تحمس العلماء إلى البحث عن الحقيقة، بحيث يرى "جون كيميني" أن هناك سبيلان للعلم إما أن نعرفه على أساس موضوعه، وإما نعرفه على أساس منهجه، فغاية العلم هي دراسة المجال الكامل للمعرفة الواقعية، لذلك ليس له موضوع يختص به دون سواه أما "كوهن" فيحتفظ بكلمة العلم للدلالة على تلك المعرفة العامة المنظمة المصاغة في قضايا محددة وكلها مستنبطة من مبادئ قليلة عامة، بينما يرى "أرسطو" أن العلم: "إدراك الأشياء الكلية والأشياء واجبة الوجود".[2]

والعلم هو الإدراك المطلق، وهو بالضرورة نشاط ذهني منظم يمكن التعبير عن نتائجه بقضايا لفظية (أو رمزية)، يحتمل صدقها بقدر ما يحتمل بطلانها، والعلم لا يمارس ولا يمكن له أن يمارس من قبل كائنات غير قادرة على التعبير عن نفسها لغويا فقضايا العلم قضايا عارضة ومن ثمة هناك مواجهة بينه وبين الواقع، وفي أحوال العلوم الشكلية الخاصة بينه وبين معايير يمكن

[1] – جميل صليبا ، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني بيروت،لبنان (ط2)، (دت) ص :99.

[2] – مصطفى النشار، نظرية العلم الأرسطية، دار المعارف، القاهرة، (ط2)، 1995، ص ص: 25، 26، 28.

بالإستناد إليها تبرير الاعتقاد في نتائجه ومن جهة أخرى فإن لغوية نتائج العلم تعد العلامة الفارقة التي تميز العلم عن التقنية.[1]

2- الإيديولوجيا: لو رجعنا إلى معاجم وموسوعات أجنبية تعرف اللفظ لو جدنا انه لفظ محتمل لمفاهيم لا حصر لها ، لفظ غير مستقر على مفهوم محدود واستعمال معين... نظرا لتطور معانيها عبر حقب الزمن مما جعل كل حقبة بفلاسفتها تذهب مذهبا مختلفا في التعريف عن سابقتها ولاحقتها تبعا لما يسودها من فلسفات، ويعود استخدام الإيديولوجيا في بادئ الأمر إلى المفكر الفرنسي" دستين دي تراسي destutt de tracy "عام(1797)الذي أراد أن يبدأ به علما جديدا أسماه علم الأفكار "science of ideAs" محاولا التفرقة بين هذا المضمون الجديد وما نعرفه باسم الميتافيزيقا أو "ما وراء الطبيعة"[*]، وكأن أساس نظرية" دي تراسي" أن الفكر الإنساني ما هو إلى عملية ناتجة من تحول بحيث كان يهدف الى نقد الأفكار الفلسفية التي سادت فترة ما قبل الثورة باعتبارها غير صالحة لمفاهيم العصر الثوري الذي تغيرت فيه كل العقائد الفكرية، وقد سعى" دي تراسي "لهدم الميتافيزيقا باعتبار أنها لا تلائم المنطلقات الفكرية الجديدة التي يجب أن تقوم على علم جديد يتفادى ما وقع فيه فكر العصور الوسطى من أخطاء، إلا أننا لا يمكن أن ننسى هؤلاء الذين كان لهم الفضل في ازدهار الثورة الفرنسية مثل بيكون وديكارت ولوك وغيرهم ممن أثروا على الواقع الاجتماعي والسياسي لأروبا في القرن الثامن عشر، وقد تأثر دي تراسي بنظرية الفيلسوف الإنجليزي جون لوك التجريبية كما تأثر بمذهب الفيلسوف الفرنسي كوندياك الذي يرد كل معرفة أو إدراك إلى أصول حسية،[2] اما الإيديولوجيا في التراث العربي كما يوضح عبد الله العروي أن "الإيديولوجيا" كلمة دخيلة على

[1] – نجيب الحصادي، تقريظ العلم ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، (ط1)، 1990، ص: 11.

[*] – وكان أول من أطلق هذا المصطلح هو أندرو نيكس، أحد تلاميذ أرسطو حيث أراد تصنيف مؤلفاته إلى كتب الرياضيات وكتب الطبيعة وما بعد الطبيعة حيث وجد أن موضوعات هذه الأخيرة لا يمكن أن تندرج تحت أي من التصنيفين السابقين.

[2] – فضل الله محمد إسماعيل، الإيديولوجيا وفلسفة الحضارة، مكتبة بستان للمعرفة الإسكندرية، (دط)، 2005، ص ص: 12، 13.

جميع اللغات الحية بحيث تعني في أصلها الفرنسي (علم الأفكار)، لكنها لم تحتفظ بالمعنى اللغوي إذ استعارها الألمان وضمنوها معنى أخر ثم رجعت إلى الفرنسية فأصبحت دخيلة حتى في لغتها الأصلية، ولذلك فليس من الغريب في هذه الحالة أن يعجزكتاب العرب عن ترجمتها لكلمات مرضية، فالعبارات التي تقابلها (منظومة فكرية) (عقيدة) تشير فقط إلى معنى واحد من بين معانيها،[1] والإيديولوجيا هي منظومة من الآراء تحدد من جراء اعتمادها على منظومة من القيم المقبولة اتجاه الناس وسلوكاتهم إزاء أهداف التطور المتوخاة وأهداف المجتمع والفئات الاجتماعية أو الفرد،[2] "آدم شاف، التعريف عن فرناند دومون: الإيديولوجيات" ويوضح العروي أننا عندما نقول إن هذا الحزب يحمل "إيديولوجية" والتي تعني مجموع القيم والأخلاق والأهداف التي ينوي تحقيقها على المدى القريب والبعيد ويكتسب هذا الحكم في استعمالنا الحالي صيغة إيجابية لأن الحزب الذي لا يملك إيديولوجية هو في نظرنا حزب انتهازي لا يهمه سوى استغلال النفوذ والسلطة، وعندما ندرس إيديولوجية عصر النهضة نعني بها النظرة التي كان يلقيها رجل عصر النهضة إلى الكون والمجتمع والفرد والتي يندرج تحت قواعدها العامة كل حكم صدر في ذلك العصر، فنحن لا نقارن نتائج علماء النهضة بالعلم المعاصر بل نربطها بفلسفة وأدب وفن وسياسة العهد المذكور فإيديولوجية عصر من العصور هي إذن الأفق الذهني الذي كان يحدد فكر إنسان ذلك العصر، وعندما نحكم على إيديولوجية عصر النهضة فإننا نحكم على إيديولوجيا تتصل بواقع معين فمفهوم الإيديولوجيا مرتبط بالمجتمع والتاريخ ومفهوم الإيديولوجيا لا ينتعش ويتبلور إلا في إطار اجتماعي[3]، ويمكن أن تنتقل إلى بعض المحاولات الفردية التي ذهب إليها البعض لتعريف الإيديولوجيا وهي كثيرة ومتنوعة أكثرها ذاتي، وأقلها موضوعي، بحيث يعود الفضل في تقديم المصطلح بصورة أكثر علمية "مانهايم" بحيث فرق بين

[1] – عبد الله العروي، مفهوم الإيديولوجيا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، (ط7)، 2003، ص: 09.

[2] – أحمد حيدر، من الإيديولوجيا إلى الفلسفة والدين، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، (ط1)، 2002، ص: 16.

[3] – عبد الله العروي، مفهوم الإيديولوجية، المرجع السابق، ص ص: 09، 10.

معنيين للإيديولوجيا أحدهما خاص والأخر كلي، ويتراوح الخاص منهما بين الكذب الوجداني الشعوري والخداع النفسي، ولكنه ذو طبيعة سيكولوجية، أي أن الفرد الذي يؤمن بالمعنى الخاص للإيديولوجيا يمكن أن يكون قادرا على التفكير في أسلوب آخر ولاسيما أن ناله الشك اتجاه الآراء والأفكار والمفاهيم التي يذهب إليها من يعارضه فيما يعلن أو يعني من فكر، مما يترتب عنه عدم القدرة الموضوعية على إدراك الواقع الاجتماعي إدراكا كاملا، وما يميز الطابع الخاص عندما يتناقض مع المفهوم الكلي الشامل للإيديولوجيا، وبينما يشير المفهوم الخاص إلى جزء فقط من الأقوال التي يطلقها المعارض، نجد المفهوم الكلي يتناول المعرفة كلها، محاولا تعريف المقصود من خلال الاستناد إلى الحياة الجماعية بينما يقيم المفهوم الخاص تحليله للأفكار والآراء على مستوى، نجد المفهوم الكلي يفرز الأفكار والآراء إلى مرحلة تاريخية ويعمل المفهوم الخاص في إطار سيكولوجية المصالح في الوقت الذي يتجه فيه المفهوم العام إلى التحليل الوظيفي والوصف الموضوعي للفروق البنائية بين العقليات التي تعمل داخل مركبات اجتماعية مختلفة[1]، كما أنه لا يفوتونا إسهام "كارل ماركس " في مفهوم الإيديولوجيا، باعتبار مفهوم الإيديولوجيا كما يتداول اليوم مدين بالكثير "لماركس" فالتطور المادي للإيديولوجيا عرف تطورات هائلة بحيث أصبح يضم عناصر غير ماركسية، خاصة فيما يتعلق باستقلال الإيديولوجيا عن الظروف المادية، بحيث يزداد معنى المصطلح اتساعا ابتدءا من مقدمة كتاب "نقد الاقتصاد السياسي 1859" بحيث يدرج " ماركس " ضمن البنية الأيديولوجية كل الأعمال الثقافية بصفتها هذه (القانون، الأخلاق، اللغة والمعارف الفلسفية والعلمية)، لقد كتب ماركس في الإيديولوجية الألمانية "إن أفكار الطبقة السائدة في المجتمع هي أيضا الأفكار السائدة، والطبقة التي تملك وسائل الإنتاج المادي تكون أيضا مالكة لوسائل الإنتاج الفكري"[2]، وفقا لماركس فالإيديولوجيا السائدة تعمل من خلال التزييف والخداع، وذلك لإظهار

[1] – فضل الله محمد إسماعيل، الإيديولوجيا وفلسفة الحضارة، المرجع السابق، ص: 23.

[2] – مالك عبيد أبو شهيوة وآخرون، الإيديولوجية والسياسة، دار الجماهيرية ، ليبيا، 1993، ص: 32، 33.

خصوصيات المجتمع في صورة غير حقيقية زائفة إنها صورة النظام المتناسق سياسيا[1]، بحيث يقول: "إن الأفكار السائدة ليست أكثر من كونها التعبير الفكري عن العلاقات المادية السائدة أو هي العلاقات المادية السائدة مدركة على هيئة أفكار وبالنتيجة فهي العلاقات التي تجعل من طبقتها طبقة سائدة فهي إذا أفكار سيادتها"[2]، وقد أصبح لفظ الإيديولوجيا يشير إلى كل مذهب تستلهمه الحكومات أو الأحزاب وتستمد منه آرائها ومواقفها.

يقول مونرو: "الإيديولوجيا عرض عقلي يستجيب إلى طلب وجداني (...) فالأمور تحدث كما لو كانت الإيديولوجيا قد جعلت استجابة لحاجات اجتماعية معينة، أي لحاجات ذاتية، مثلما تستجيب المنتوجات الصناعية لحاجيات اقتصادية معينة".

ويضيف: "الإيديولوجيا هي المكافئ الوظيفي للأسطورة".

جبرائيل مرسيل: "تسعى الإيديولوجيا بطبعها إلى ان تصبح دعاية، أعني إشاعة آلية لشعارات تستثيرها عواطف حقودة لا تبرز إلا عندما تسلط على فئة معينة من البشر: اليهود المسيحيون، الماسوخيون les franc- maçons البرجوازيون...إلخ" .

يقول: " جيمس بيرنهام jams burnham " في كتابه حول الليبرالية الغربية حيث يقول: " عندما يتراءى لمن يعتقد في أفكار ما عن الإنسان والتاريخ أنها واضحة بذاتها أو صحيحة تماما بحيث يرى من يعارضها غبيا أو خبيثا، فإن هذه الحالة بالتأكيد هي الإيديولوجيا أو التفكير الإيديولوجي ". [3]

[1] – محمد سبيلا وعبد السلام بن عبد العالي، الإيديولوجيا، دار توبقال، المغرب، (ط1)، 1999، ص: 40.

[2] – المرجع نفسه، ص: 34.

[3] - james Burnham : suicide of the west (an essay on the meaning and besting of liberalism), jonathan cape, London 1965, P 108.

يرى " دافيد إيستون david easton ": إن الإيديولوجيات هي منظومات من المثل والأهداف، والأغراض المترابطة التي تساعد أعضاء جماعة ما لتفسير الماضي وشرح الحاضر، وتقديم رؤيا للمستقبل ".[1] فالإيديولوجية عندهم منظومة سياسية وقيمية.

ألتوسير: "إن الإيديولوجيا بالمرصاد للعلم في كل لحظة تضعف فيها صرامته ولكن أيضا في اللحظة القصوى التي يصل فيها البحث إلى حدوده النهائية"[2]. وسعيا للوصول إلى تحديد نرتضيه لماهية الإيديولوجيا، ولمحاولة تشكيل تعريف شامل يتجنب أوجه النقص التي اعتبرت الكثير من المحاولات لاقتصارها على النظرة الذاتية، سنحاول فيما يلي عرض بعض التعريفات الرئيسية التي ذهب إليها المفكرون على ان تكون شاملة لكافة الاتجاهات المتعددة والمتنوعة حول ماهية الإيديولوجيا.

يشير معجم ثورنديك وبارينهات الأمريكي الحديث إلى كلمة الإيديولوجية بعدة مدلولات متشابهة تدور كلها حول المعاني التالية: مجموعة المذاهب أو الآراء السياسية ووجهات النظر، كذلك النوايا المشتركة لحركة ما اجتماعية كانت أو سياسية[3].

وتشير موسوعة لالاند الفلسفية أن الإيديولوجيا: أ "كلمة ابتكرها " دستوت دي تراسي" أنظر كتبه مذكرة حول ملكة التفكير: علم موضوعه دراسة الأفكار (بالمعنى العام لظواهر الوعي) ومزاياها وقوانينها وعلاقتها مع العلامات التي تمثلها وبالأخص أصلها، بـــ: بالمعنى المبتذل: تحليل أو نقاش فارغان لأفكار مجردة، لا تتطابق مع وقائع حقيقية، ج: مذهب يلهم أو يبدو أنه يلهم حكومة أو حزبا، د : فكر نظري يعتقد أنه يتصور تجريديا في غمار معطياته الخاصة به

[1] - Davide Easton : A systems analysis of political life, johen wiley, N. y, 1965, P 290.

[2] – جلال الدين سعيد، المصطلحات والشواهد الفلسفية، المرجع السابق، ص: 71.

[3] – فضل الله محمد إسماعيل، الإيديولوجيا وفلسفة الحضارة، المرجع السابق، ص ص: 24، 25.

لكنه في الواقع تعبير عن وقائع اجتماعية ولاسيما عن وقائع اقتصادية، فكر لا يعيه ذلك الذي يبنيه، أو على الأقل لا يأخذ في حسبانه أن الوقائع هي التي تحدد فكره[1].

ويشير معجم أكسفورد البريطاني إلى أن الفيلسوف " دي تراسي " أشار إلى هذا اللفظ أمام المجلس الوطني في فرنسا عام 1896 حيث اقترح إطلاق كلمة على الفلسفة العقلية، ثم يعرفها باختصار بأن الإيديولوجيا هي علم الأفكار والآراء، أو هي ذلك الجزء من الفلسفة أو علم النفس الذي يبحث في أصل وطبيعة الآراء والمعتقدات، كما أنها تعنى بدراسة الطريقة التي تعرف بها كيفية التعبير عن أفكارنا بواسطة اللغة.

أما دائرة المعارف كوليز الأمريكية، فتراها تعرف الإيديولوجيا بأنها العلم الذي يبحث في المعتقدات والآراء والنظريات التي تتولد عن الأفكار الأساسية التي تتخذها جماعة معينة.[2]

والاستخدام الفني لمصطلح الإيديولوجيا يميل إلى اعتبار الإيديولوجيا محصلة عدة عناصر، فهي لا تدل فقط على المعتقدات التي توجد لدى الناس أو نسق القيم، أو محصلة الأهداف والمعايير، وإنما تتضمن كل هذه الجوانب مجتمعة هذا بالإضافة إلى نظرة الإنسان للأشياء المحيطة به والتصور الذي يطوره عن العالم، وهي في نفس الوقت تشير إلى مجموعة الخبرات والأفكار والآراء التي يستند عليها في تقييمه للظواهر المحيطة به، وهناك تعريف آخر للإيديولوجيا بأنها نسق من الآراء والأفكار والنظريات السياسية والحقوقية والدينية والفلسفية .

و الإيديولوجيا منظومة لتفسير العالم الاجتماعي، تنطوي على نظام من القيم المقبولة، وتقترح اصطلاحات ينبغي إنجازها، وانقلابا يخشاه الناس أو يأملونه. "ريمون أرون" [3]. أما في العصور الحديثة أصبح المصلح الإنجليزي المعادل للإيديولوجيا عند البعض "الحتميين الاقتصاديين" الأفكار العقيمة بوصفها نقيض السلوك السلبي والفعال، أي مجموعة من الأفكار العامة أو

[1] – أندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الثاني، (h-q)، منشورات عويدات بيروت، باريس، (ط2)، 2001، ص ص: 611، 618.

[2] – فضل الله محمد إسماعيل، الإيديولوجيا وفلسفة الحضارة، المرجع السابق، ص: 25.

[3] – أحمد حيدر، من الإيديولوجيا إلى الفلسفة والدين، دار الحوار للنشر والتوزيع ، ط1، 2002، ص: 16.

المناهج الفلسفية بصفة عامة الإيديولوجيا تعبر عن أي نسق للأفكار والمعايير بوجه الفعل السياسي والاجتماعي.[1]

3- الوضعية المنطقية: لقد أطلق " بلو مبرج A.E. blumberg " وهربت فايجل herbert feigl اسم الوضعية المنطقية logical positivism 1931 على مجموعة من الأفكار الفلسفية التي نادت بها حلقة فيينا[*] وتسمى أحيانا التجريبية المنطقية logical empiricism والتجريبية العلمية scientifique empiricism

والوضعية المنطقية الجديدة logical neo-positivism[2]، ويستخدم هذا الاسم في الكثير من الأحيان بصفة غامضة، الأفضل أن يقتصر استخدامه للدلالة عن معناه الأصلي حيث يكون مرادفا لما يسمى بالتجريبية " المنطقية" أو "العلمية" أو " المتسقة" [3]، وهي حركة سعى إلى إقامتها مجموعة من العلماء وهذا بتأثير العالم الفيزياء "أرنست ماخ" الذي سعى على تحقيق وحدة العلم[4]، ظهرت هذه الحركة الفلسفية في القرن العشرين، كمذهب جديد محاولة الجمع بين المنطق والعلم الفلسفة في آن واحد، وقد دعا أتباع هذا المذهب إلى إيجاد فلسفة علمية تقوم على توحيد العلوم وجعل مهمة الفلسفة العمل على ربط اللغة بالتجربة ربطا علميا، وصياغة الواقع الخارجي صياغة منطقية بحيث استخدمت منهج التحليل المنطقي، بالاستفادة من قيمة المذهب العقلي، وما تم البرهنة عليه من مبادئ المنطق وكذا المذهب التجريبي وما انتهى الاتفاق

[1] – حبيب الشاروني، قراءة للمصطلح الفلسفي، تر عبد السلام جعفر، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية، (دط)، 1998، 1999، ص: 96.

[*] – تعد أن جماعة فينيافي أوائل العشرينيات من هذا القرن بوصفها جماعة للمناقشة غير رسمية بجامعة فينيا يرأسها موريس شليك من الأعضاء البارزين: كرناب وأوتونويراث وفريدريك وايزمان وفيليب فرانك وغيرهم لم يكونوا فلاسفة بما تلقوه من تعليم بل منهم الرياضي والفيزيائي وعالم الاجتماع، لكنهم يشتركون في اهتمامهم بفلسفة العلم.

[2] – ألفريد جولس أير، من الوضعية المنطقية إلى التحليل الفلسفي، (تر) بهاء درويش، منشأة المعارف بالإسكندرية، جلال حزي وشركائه، دط، 2001، ص43.

[3] – فؤاد كامل وآخرون، الموسوعة الفلسفية المختصرة، مراجعة زكي نجيب محمود، دار القلم، بيروت، لبنان، (دط)، (دت)، ص: 437.

[4] – عبد المنعم حنفي، موسوعة الفلسفة والفلاسفة من (ط إلى ي) ج2، ص: 1531.

عليه من مناهج العلوم التجريبية والطبيعية وذلك من اجل التفكير الفلسفي بخصائص المعرفة العلمية والوضعية المنطقية تتحدث عن ما ليس في الطبيعة عما يقع بعد الطبيعة أو ورائها، لكنه ليس جزء من الطبيعة، ولما كان من المحال على الإنسان أن يتصور ما يستحيل بحكم تعريفه أ ن يكون جزءا من خبرته (باعتبار أن خبرة الإنسان محدودة بما في الطبيعة من أشياء) فالعبارات الميتافيزيقية كلها لا يتوفر فيها شرط القضية،وهو إمكان أن يوصف الكلام بالصدق أو الكذب و بالتالي فهي كلام فارغ[1]،والمراد بالوضعية المنطقية هنا،التجربة العلمية،وهي تتخذ من شهادة الحواس وحدها طريق للعلم والمعرفة ومعيار للحق والحقيقة،وتذكر وجود العقل بالمعنى الذي نعرفه في مقابل من يتخذون من العقل وحده أداة و وسيلة و العلم والمعرفة ولا يثقون في الحواس كطريق إلى المعرفة الصحيحة،لقد رفضت الوضعية المنطقية القضايا الفلسفية التي تتحدث عن الكون،أو الإنسان،بإعطاء نظرة شاملة عنه أو التعبير عن رأيها في أي شيء من أشياء الطبيعيات أو الإنسانيات،بحيث تحصر مهمة الفلسفة بتحليل الكلام تحليلا يميز بين ماله من معنى ومضمون وبين ما هو فارغ من المعنى و المحتوى بالرجوع الخبرة الحسية[2].والوضعية المنطقية اتجاه فلسفي معاصر يعول على التجربة،تحقيقا للدقة و التحليل المنطقي للغة العلماء ولغة الحديث،ويعدها المصدر الوحيد للمعرفة،وليس للعقل من عمل إلا مجرد تنسيق معطياتها وتنظيمها،ثم تحولت إلى دراسة تحليلية منطقية للغة العلم لتحقيق وحدة مشتركة بين فروع العلوم المختلفة[3]،ويمكننا تحديد تاريخ الوضعية المنطقية الحقيقي إلى عام (1907) حيث اجتمع العالم الرياضي " هانزهان" وعالم الاقتصاديات "اتو نيراث" neuath- otto وعالم الفيزياء "فيليب فرانك" frank-Fillip ،وهو من ابرز أعضاء حلقة فيينا[4]، ومع مجيء الوضعية المنطقية تغيرت مهام الفلسفة و أعفتها من المهام القديمة كالتساؤل عن العلل و المبادئ

[1] – محمد عبد الرحمان مرحبا،المسألة الفلسفية، منشورات عويدات ، بيروت ، باريس (ط2) 1977 ص 28

[2] – محمد جواد حفنية، مذاهب الفلسفة وقاموس مصطلحات،دار الجواد بيروت،لبنان،ص131

[3] – إبراهيم مدكور،المعجم الفلسفي، المرجع السابق ص 214.

[4] – بهاء درويش ،دراسات في الفلسفة المعاصرة، منشأة جلال حري و شركاءه، مصر ،(دط) 2001، ص44.

الأولى،لتصير مهمة الفلسفة دراسة الكلمات و معرفة دلالاتها و النظر فيما إذا كانت الألفاظ تؤدي المعاني المطلوبة فالفلسفة لا تبحث عن المعلومات و إنما تنظر في دلالة العبارات وتحليلاتها[1]، كان أعضاء الوضعية المنطقية كلهم متقاربون في المرتبة العلمية، حيث لم تكن مدرسة فلسفية بالمعنى التقليدي أي يكون هناك أستاذ يحيط به تلاميذ وأتباع كما كان الحال أيام "سقراط"[2]، والوضعية المنطقية تمثل المدرسة المعاصرة الوحيدة التي يكمن اعتبارها استمرارا فعليا للحركة التجريبية، ومن ناحية أخرى امتداد الوضعية الكلاسيكية التي نشأت على يد أوجست "كونت "و"جون ستيورات مل" وبالتالي هي امتداد للتجريبية الإنجليزية التي عرفها تاريخ الفكر إبان القرن الثامن عشر[3]، وما يميز الوضعية المنطقية هو اهتمامها بالمعطى الحسي كما هو وابتعادها عن كل تفسير ذاتي هذا من جهة واعتمادها على التحليل المنطقي من جهة ثانية وقد جاء في البيان ما نص: "قد ميزنا تطور العلمي للعالم بميزتين:

أولا: انه تجريبي ووضعي لا توجد سوى معرفة متأتية من التجربة وتقوم على ما هو معطى مباشرة وبهذه الطريقة يتم تعين الحدود التي تضمن كل معرفة مشروعة.

ثانيا : يتميز التطور العلمي للعالم بتطبيق هذا التحليل المنطقي على المواد التجريبية "[4].

والوضعية المنطقية نزعة علمية ترى أن وجود العلم لا يتحقق إلا بإلغاء الفلسفة والدين، كما لا يمكن فهمهما على هذا النحو إلا في سياق الصراع الذي دار في الفكر الغربي بين العلم المستند على الحواس كوسيلة معرفة أساسية والاستقراء كمنهج، كما رفضت الوضعية المنطقية

[1] .عبد الفتاح الديدي، الاتجاهات المعاصرة في الفلسفة،الدار القومية للطباعة و النشر (دط)،(دت) ص 368 .

[2] – عادل السكري، نظرية المعرفة من سماء الفلسفة أرض المدرسة، دار المصرية اللبنانية، (ط1)، 1999، ص: 136.

[3] – بدر الدين مصطفى، زعادة الإمام، الميتافيزيقا، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط1، 2012، ص: 154.

[4] – الشريف الزيتوني، مشروعية الميتافيزيقا من ناحية المنطقية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، دط، 2006، ص: 222.

خصائص التفكير الميتافيزيقي ولقد ارتبطت الوضعية المنطقية في الفكر العربي المعاصر بالدكتور زكي نجيب محمود*.

4- الميتافيزيقا: كلمة الميتافيزيقا هي تعريب للكلمة اليونانية (تامتانافوسيكا) ومعناها ما بعد الطبيعة[1]، وبالفرنسية Métaphysique وفي الإنجليزية Metaphysics وباللاتينية Metaphysico وعلم ما بعد الطبيعة هو الاسم الذي نطلقه اليوم على مقالات أرسطو المخصوصة بالفلسفة الأولى وسميت بهذا الاسم لأن (أندر تيفوس) من أتباع أرسطو، جمع كتب أرسطو في القرن الأول قبل الميلاد وضع الفلسفة الأولى في ترتيب هذه الكتب بعد العلم الطبيعي، وعلم ما بعد الطبيعة عند الكندي، هو الفلسفة الأولى، وعلم الربوبية وعند الفرابي هو "العلم بالموجود بما هو موجود" ، أما عند ابن سينا هو العلم الإلهي يقول ابن سينا "إن هذا العلم يبحث عن الموجود المطلق وينتهي في التفصيل إلى حيث تبتدئ منه سائر العلوم فيكون في هذا العلم بيان مبادئ سائر العلوم الجزئية" (النجاة ص 322)[2]، يرى "هيدجر" أن الميتافيزيقا تبحث في وجود الموجود فهي تسأل أولا عن الموجود بما هو موجود، وفي هذه الحالة تكون "ميتافيزيقا عامة"، أو" انطولوجيا"، وهي أيضا تبحث في الوجود الذي يجعل من موجود معين موجودا، وحينئذ تسمى "ميتافيزيقا خاصة" بيد أن الميتافيزيقا لا تبحث في الوجود بما هو موجود إلا بعد أن تبحث في الوجود موجود ممتاز هو في الفلسفات الدينية الله، وفي فلسفة هيدجر والوجودية هو الإنسان[3]، والميتافيزيقا هي ذلك الجزء من الفلسفة الذي يدعى أعظم الإدعاءات، ويتعرض لأعظم الشكوك، واسم الميتافيزيقا هو الاسم الذي أطلقه المدرسيون على بحث أرسطو، بحيث وصف أرسطو موضوع بحثه بعدة طرائق مختلفة، كان يراها جميعا

* – هو فيلسوف ومفكر مصري كان له دور كبير في نشر فكر الحداثة والتنوير والتقدم على الساحة الثقافة العربية توفي 1993 أستاذ في الفلسفة في جامعة القاهرة.

[1] – عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، ج2،المؤسسة العربية للدراسات والنشر دط، دت،ص : 493.

[2] – جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، المرجع السابق، ص: 300.

[3] – عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، المرجع السابق، ص ص: 496، 497.

متساوية، فقد سماه دراسة المبادئ الأولى للأشياء، وقال عنه أنه علم الوجود عامة أو "الوجود من حيث هو كذلك". ووصف أيضا بأنه دراسة "الجوهر" وهي عبارة تحتل مكانة رئيسية في مؤلفات معظم الميتافيزيقيين الكبار الذين جاءو اعقابه[1]، يقول هيدجر : "إن الميتافيزيقا من حيث تاريخ حقيقة الموجود قد قامت انطلاقا من مصير الوجود ذاته، لذا فهي سر الوجود ولكنه سر لم يفكر فيه لكونه ظل سرا مبهما"[2]، وقيل أن "أندرو نيفوس" أراد بإطلاق اسم الميتافيزيقا الدلالة على موضوع دراسته بمعنى أنه يبحث فيها وراء الظواهر المحسوسة لكن الكلمة لم تعد الان اسما لكتاب، بل لعلم بالمعنى الواسع الذي يدل على مجموعة من التفكير النسقي المنظم حول موضوع معين[3]، والمفاهيم الميتافيزيقية التي تتجلى في الوجود والعدم، الماهية، الجوهر والعرض، المادة والصورة القوة والفعل المبدأ المطلق القائم بذاته الجوهر كأساس للوجود...تعتبر كيانات عقلية متعالية[4]، اعتبر ديكارت الميتافيزيقا بمثابة الجذور في شجرة الفلسفة حيث قال: "الفلسفة كلها بمثابة شجرة، جذورها الميتافيزيقا وجذعها العلم الطبيعي وأغصانها باقي العلوم وهذه ترجع إلى ثلاث كبرى أعني الطب والميكانيكا والأخلاق" فالميتافيزيقا عند ديكارت تعني مبادئ المعرفة التي منها تفسر أهم صفات الإله وروحانية نفوسنا[5]، بمعنى أن الميتافيزيقا عند ديكارت معرفة الله والنفس، و تعنى عند كانط: مجموعة المعارف التي تتجاوز نطاق التجربة وتستمد من العقل وحده، وعند كونت هي معرفة بين اللاهوت والعلم الوضعي، تحاول الكشف عن حقيقة الأشياء وأصلها ومصيرها وعند برغسون معرفة مطلقة نحصل عليها بالحدس المباشر[6]، والميتافيزيقا مهمتها معرفة الوجود الحقيقي بتحليل

[1] – فؤاد كامل وآخرون، الموسوعة الفلسفية المختصرة، المرجع السابق، ص: 466.

[2] – عبد السلام بن عبد العالي، الميتافيزيقا، العلوم و الإيديولوجيا، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت، (ط2)، (دت)، ص: 148.

[3] – دونالد جليز، فلسفة العلم في القرن العشرين (تر) حسين على التنوير، بيروت، لبنان، (ط1)، 2009، ص: 383.

[4] – الشريف زيتوني، مشروعية الميتافيزيقيا من الناحية المنطقية المرجع السابق، ص: 102، 103.

[5] – المرجع نفسه، ص: 77.

[6] – إبراهيم مدكور، المعجم الفلسفي المرجع السابق، ص: 197، 198.

التجربة وتركيبها على أكمل الوجه ولاسيما التجربة الداخلية التي هي أساس كل تجربة أخرى يقول "دونان": "يجب علينا أن نعرف علم ما بعد الطبيعة بقولنا: إنه تصور عقلي لشيء يدخل فيه تعليل أو كثير من الوضوح والتميز، تصور عقلي لكل شيء"[1]. وسمة الميتافيزيقا هي دراسة كل ما عجز عنه العلم فهي تحاول أن تتجاوز حدود الحدس للإجابة عن ما كان العلم يعجز عنه.

المبحث الثاني:الجذور الفكرية للوضعية المنطقية (جذور التأسيس وآليات الظهور والانتشار).

1-علاقة الوضعية المنطقية بحلقة فيينا :

لقد ظهرت الوضعية المنطقية، نتيجة للعلاقة الوثيقة بين حركة نقد العلم وتجريبية التقليدية والواقعية الجديدة الإنجليزية[2]، بحيث تمثل الوضعية المنطقية في الواقع المدرسة المعاصرة الوحيدة التي يمكن اعتبارها استمرارا فعليا للحركة التجريبية إذ انه تعد من ناحية امتداد للوضعية الكلاسيكية وجون ستوارت مل وبالتالي فهي امتداد للتجريبية الانجليزية التي عرفها تاريخ الفكر إبان القرن الثامن عشر[3]، أما مصدرها المباشر فانه التجريبية النقدية الألمانية[4]، التي نشأت على يد" أفيناريوس" الذي قام أحد تلامذته وهو "جوزيف بيتزولت" بوضع حوليات الفلسفة تحت إشراف المدرسة الوضعية المنطقية بعد أن ظلت هذه المجلة مدة من الوقت مقصورة على أصحاب التجريبية النقدية من الألمان، وفيما بعد نجد هذه المجلة قد كفت عن الصدور تاركة مكانها لمجلة" المعرفة" التي ظلت طيلة الفترة الممتدة ما بين العامين 1930، 1938 أهم الدوريات الناطقة باسم الوضعية المنطقية[5]، ومن التيارات الأخرى التي أثرت بقوة على ظهور

[1] – فؤاد كامل وآخرون الموسوعة الفلسفية المختصرة، المرجع السابق، : ص: 303.

[2] – أ. م. بوشنسكي، الفلسفة المعاصرة في أوربا، (تر)، عزت قرني ، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، (دط)، 1980، ص: 66.

[3] – بدر الدين مصطفى، زعادة الإمام، الميتافيزيقا ، المرجع السابق ص: 154.

[4] – أ. م. بوشنسكي، المرجع السابق، ص: 81.

[5] – بدر الدين مصطفى، زعادة الإمام، المرجع السابق، ص: 154.

الوضعية المنطقية غير المدرسة التجريبية النقدية الألمانية مدرسة "نقد العلم" الفرنسية ونظريات رسل، وكذلك تطورات المنطق الرياضي، وعلم الطبيعة في القرن العشرين الميلادي" عند أنشتاين"[1]، الى جانب وضعية أوغست كونت وأتباعه التي كانت تشكل في فرنسا الفلسفة الرسمية للعلم في القرن التاسع عشر عرفت ألمانيا خلال نفس القرن اتجاها وضعيا ظاهريا تزعمه العالم الفيزيائي الفيلسوف أرنست ماخ (1838 - 1916) ernest mach على أساس هذه النزعة الظاهرانية المغرقة في الحسية قامت الوضعية الجديدة بمختلف اتجاهاتها وفروعها، وهي فلسفة منتشرة في أنحاء كثيرة في العالم الغربي وبكيفية خاصة في انجلترا والولايات المتحدة .أول ما نشأت هذه الحركة في عاصمة النمسا حيث شكل بعض أساتذة الفلسفة بزعامة موريس شليك M.shlik ورودولف كارناب وهانز ريشنباخ دائرة فلسفية خاصة عرفت (بدائرة فيينا)[2]، وقد تكونت هذه الجماعة منذ عام 1907 اجتمع هؤلاء العلماء لمناقشة فلسفة العلم وكان أملهم إيجاد ومناقشة العلم الذي يحقق ويبرز الأهمية الكبرى في التفكير العلمي لكل من الرياضيات، والمنطق والفيزياء والنظرية بدون استبعاد المبدأ العام عند" أرنست ماخ 1895-1910 "والذي مؤداه أن العلم فيى أساسه هو وصف للتجربة أو الخبرة[3]، أما البداية الفعلية للحلقة فيينا فقد كانت عام 1922 حينما احتل موريس شليك (1882- 1936) كرسي أستاذية الفلسفة للعلوم الاستقرائية بجامعة فيينا وفي عام 1926 أتى كارناب Carnap (1891- 1970) الى فيينا أستاذ للفلسفة بجامعاتها وسرعان ما أصبح عضوا بارزا في مناقشات الحلقة، حتى عد المعبر الأول عن أفكارها، وقد كان لكتاب فيتجنشتين "رسالة منطقية فلسفية" أبلغ الأثر في حركة الوضعية المنطقية حيث أنهم يرجعون مبدأ المشهور في التحقق التجريبي اليه.

[1] – ام بو شنسكي ، المرجع السابق، ص: 81.

[2] – محمد عابد الجابري مدخل إلى فلسفة العلوم مركز الدراسات الوحدة العربية بيروت لبنان، (دط)، (دت)،ص ص: 26- 27.

[3] –بدر الدين مصطفى زعادة الامام الميتافيزيقا ، المرجع السابق، ص: 155.

وقد نشأت في عام (1928) جمعية من بين أعضاء جماعة فيينا عرفت باسم جمعية" أرنست ماخ"، جعلت موضوع اهتمامها الرئيسي هو تنمية وتطوير وتوسيع النظرة العلمية وإيجاد الأدوات العقلية للفلسفة التجريبية الحديثة وكان ذلك تأكيدا للاتجاه العلمي والتجريبي لدى أعضاء جماعة فيينا وفي عام (1929) أعد" كارناب" و"هان" و"نيراث" بيانا manifesto ترحيبا بعودة شليك إلى فيينا بعد زيارته كأستاذ لجامعة ستانفورد بكاليفورنيا بالولايات المتحدة بعنوان "النظرة العلمية للعالم عند حلقة فيينا" scientific world view the vienna circle ويعد هذا البيان أول بيان يشرح موقف الجماعة الفلسفي ووجهة نظرهم اتجاه المشكلات التي تتعلق بفلسفة الرياضيات والعلوم الطبيعية والاجتماعية بغرض إيجاد حل لتلك المشكلات[1]، وقد ركز البيان على ثلاث نقاط:

1-رفض الميتافيزيقا لأنها لا معنى لها.

2- لا وجود للفلسفة كعلم عام أو أساسي.

3- الطبعة التكرارية لقضايا المنطق أي تحصيل حاصل.[2]

كما احتوى البيان على ملحق به قائمة تضع أسماء أعضاء جماعة فيينا وكان عددهم أربع عشر عضوا، ضم الملحق كذلك قائمة بأسماء المؤيدين للجماعة كان من بينهم "رامزي"و " ريشنباخ " كان ريشنباخ وقتها في برلين لذلك لم يكن عضوا رسميا في جماعة فيينا، لكنه شارك الجماعة اهتمامها ووجهات النظر التي تبنتها، ويمكن اعتباره عضوا مناسبا للجماعة ويتضمن الملحق في خاتمته قائمة شرفية تضم (أبرز من قدموا تصورات علمية عن العالم) كما اشتملت القائمة على ثلاث أسماء هم" ألبرت أنشتاين" و "بيرتراندرسل" و "لودفيج فتجنشتين".

وقد عرفت وجهات النظر الفلسفية النظر فيما بعد لجماعة فيينا باسم "الوضعية المنطقية" logical positivism ، وكما هو متوقع كان لرسل عظيم الأثر ففي مذكراته عن "هان" وهو

[1] – الفريد جولس آير، من الوضعية المنطقية إلى التحليل الفلسفي ، المرجع السابق ،ص ص 47- 48.

[2] – ألفريد جوليس آير، الفلسفة في القرن العشرين، المرجع السابق ،ص ص: 235.

أحد المؤسسيين لجماعة فيينا يكتب منجزة" مع مطلع العشرينيات ازداد إعجاب هان بأعمال برتراندرسل فقد استعرض بعض منها في مقالاته التي كان ينشرها في "المجلة الشهرية للرياضيات والفيزياء" وفي إحدى هذه المقالات يذكر هان أنه يوما ما سينظر إلى رسل على أنه أهم فيلسوف في عصره". (منجز 1980ص 11 من المقدمة)[1].

ومع أن التأثير المباشر على فلسفة دائرة فيينا جاء من خلال كتابات هيوم وميل أرنست ماخ وأفكار المنهج العلمي عند بوانكاريه ودوهيم وأنشتاين والطريقة الأكسيوماتكية عند بيانوا وهلبرت، والمنطق الرياضي عند فريجه ورسل إلى أن التأثير الأكبر والخطير جاء من رسالة فتجنشيتين "رسالة منطقية فلسفية" التي دونت عام 1921 وترجمت إلى الإنجليزية عام 1922 والذي تعرض الفلسفة الذرية المنطقية وتقوم في الوقت نفسه على مجموعة من الأفكار الجديدة والأصلية على ما اتضح لأعضاء الجماعة وقد نظر شليك إلى مفهوم الفلسفة التي عرضته الرسالة على أنه نقطة تحول هامة في تاريخ الفلسفة[2]، وواصل أعضاء (حلقة فيينا) في نشر أعمالهم الفلسفية ولقد عقدت الجماعة سلسلة من المؤتمرات الدولية التي خصصتها للبحوث الرياضية والفيزيائية وأصدرت عددا من الكتب ومجلة فلسفية وذاع صيتها وشدت إليها الكثيرين من الفلاسفة ونذكر من هذه المؤتمرات الفلسفية ما يلي:

1-المؤتمر الدولي 1934 المنعقد في(براغ)وكان مخصصا لفلسفة العلم وقد جمع ريشنباخ وكارناب وفليب فرانك ونيورث.

2- مؤتمر انعقد في باريس في ديسمبر(1936)بـــ (السوبرن) وقد ألقى فيه "رسل" كلمة افتتاح والمؤتمر الدولي في (جويلية 1936 بكوبنهاجن) وكان مختصا لوحدة العلم وخاصة مشكلة العلية مع التركيز على فيزياء الكوانتم و البيولوجيا.

3- مؤتمر في(جوان 1937 في السربون) واهتم بدائرة المعارف والإعداد لها.

[1] – دونالد جيليز، فلسفة العلم في القرن العشرين ،المرجع السابق ، ص ص: 131، 132، 133.

[2] – ماهر عبد القادر محمد، فلسفة العلوم، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية،دط 2003، ص: 105.

4- مؤتمر في (جوان 1938، في كمبردج ماشنيوتس) وكان أخرها نظرا لقيام الحرب العالمية الثانية[1].

ولقد بدأ أعضاء جماعة فيينا ينشرون أفكارهم في الجريدة السنوية للفلسفة annalen der philosophie ابتداء من عام(1930) وهي الجريدة التي نشر فيها فيتجنتشين (الرسالة) والتي غيروا اسمها بعد ذلك إلى (المعرفة enntniserk) كما أصدرت سلسلة من الكتيبات والكتب تحت عنوان "منشورات جمعية أرنست ماخ " (1928- 1934) ثم باسم "العلوم الموحدة" (1934- 1938) وهي السلسلة التي نشر فيها – بوبر- كتابه "منطق الكشف العلمي" ثم جعلت الحلقة من نفسها مسؤولة عن المجموعة التي نشرت فيما بعد في الولايات المتحدة تحت اسم الطموح "دائرة معارف العلوم الموحدة" the cyclopedia of unified sciences the en وعلى الرغم من أن حركة الوضعية المنطقية كانت تزداد قوة خلال الثلاثينيات كانت جماعة فينا قد بدأت تنحل، فقد سافر كارناب (1931) تاركا فيينا إلى براغ، كما رحل فايجل في نفس السنة إلى إيو lowa (ثم بعد ذلك إلى مينسوتا) وكادت مناقشات الجماعة تنحصر بين شليك وفايزمان وهان ولكن هانزهان توفي (1934) كما رحل كارناب بعد ذلك من براغ 1936 إلى شيكاغو[2]، واغتيل شليك وعمره 54 عام من قبل طالب مخبول أثناء دخوله الجامعة وقد تنبأت النغمة العدائية التي صاحبة الحديث عن وفاة شليك في الصحافة الحكومية والتي أوجدت بأن الوضعيين يستحقون الموت على أيدي طلبتهم بالمتاعب التي سوف تواجهها الحلقة.

[1] – سبعي جمعية، صديق أسية، الوضعية المنطقية وإشكالية اللغة، مذكرة لنيل شهادة الليسانس في الفلسفة عمل غير منشور، معسكر، 2008- 2009 ، ص: 18.

[2] – ألفريد جوليس آير، من الوضعية المنطقية، إلى التحليل النفسي، المرجع السابق، ص: 50

وقد استمر تراث الوضعية المنطقية خاصة في بريطانيا وسكيندنافيا والولايات المتحدة[1]، إن ما يميز الوضعية المنطقية التي جاءت في عصر التصورات العلمية الجديدة هو اهتمامها بالمعطى الحسي كما هو، وابتعادها عن كل تفسير ذاتي هذا من جهة، واعتمادها على التحليل المنطقي، من جهة ثانية، وقد جاء في البيان ما نصه: " لقد ميزنا التصور العلمي للعالم بميزتين: أولا انه تجريبي ووضعي لا توجد سوى معرفة متأتية من التجربة تقوم ما هو معطى مباشرة بهذه الطريقة يتم تعيين الحدود التي تضمن كل معرفة مشروعة، ثانيا يتميز التصور العلمي للعالم بتطبيق منهج معين هو التحليل المنطقي، أما هدف الجهد العلمي هو وحدة العلم، لا بد أن تحصل بتطبيق هذا التحليل المنطقي على المواد التجريبية" من هذه اللمحة الوجيزة على نشأة الوضعية المنطقية يمكن أن نستخلصها فيما يلي:

1-أن التجربانية المنطقية جاءت في عصر وجدت فيه مفاهيم، وتصوران جديدة في مختلف العلوم وخاصة في الفيزياء والمنطق، والرياضيات، ولا ريب إن أعضاء حلقة فينا تؤثروا أيما تأثير بالفضاء الفلسفي العلمي.

2- لا شك أن التجربانية المنطقية هي امتداد لاتجاه الفلسفي الوضعي التجريبي الكلاسيكي، ولكنها تختلف عنه من حيث تأكيده على منهج التحليل المنطقي كأداة لمعالجة المشاكل القابلة للمعالجة التجريبية، وكل معرفة تتجاوز ذلك هي معرفة ميتافيزيقية ينبغي تجنب البحث فيها لأنها من دون معنى.

3- (معيار القابلية للتحقق) critérium de verifiabilité هو مبدأ أساسي اشتهرت به التجربانية المنطقية في رفضها الميتافيزيقيا وباقي العلوم المعيارية الأخرى[2]، والوضعية المنطقية

[1] - فريدريك وأيزمان وآخرون، كيف يرى الوضعيون الفلسفة، (تر) نجيب الحصادي، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، دار الأفاق الجديدة، ط1، 1999، ص ص: 25، 26.

[2] - شريف زيتوني، مشروعية الميتافيزيقا من الناحية المنطقية، المرجع السابق، ص ص: 222، 223.

مذهب علمي على قدر عظيم من قوة الرأي وصلابة الحجة ووضوح الرؤية، يستند إلى دعامتين أساسيتين هما: العلم الحديث والمنطق الرياضي[1].

وهم يتفقون على مبادئ تمثل دعائم الوضعية المنطقية ولابد لهم من التسليم بها جميعا ولا بأس من الاختلاف في أي مسألة هذه المبادئ هي على وجه التحديد كما يلي:

أولا: الفلسفة تحليلية.

ثانيا: الفلسفة علمية .

ثالثا: القضية إما تحليلية وإما تركيبية.

رابعا: الميتافيزيقا لغو.

خامسا: معيار التحقق سيمانطيقا، ولغة العلم سينتاطيقا لتمييز المعرفة العلمية. اتفق الوضعيون المنقطيون على قصر مهمة الفلسفة على التحليل بخصائصه الأربعة المذكورة، وهي اللغوية والتفتيتية، والمعرفية، والبين ذاتية، وتتميز الوضعية المنطقية بقصر هذا التحليل على العبارات العلمية لا سواها، بهذا تغدو حسب رأي المناطقة الفلسفة علمية [2]. أما في الحضارة العربية نجد زكي نجيب محمود تبنى الوضعية المنطقية تبنيا كاملا واتخذها عنوانا وبطاقة لهوية الفلسفية وتكرس إبان الخمسينات لنشرها والدعوة إليها.

منهج الوضعية المنطقية بين الرؤية العلمية والانغماس الإيديولوجي:

إن المنهج الذي ارتضته الوضعية المنطقية واتخذت على ضوءه موقفها من مختلف المشكلات الفلسفية هو منهج التحليل المنطقي logical analysis أو التحليل اللغوي linguistic language للعبارات التي يتفوه بها الفلاسفة في نظرياتهم والناس في حياتهم العادية، والحق أن منهج التحليل عند الوضعية المنطقية لم يجئ على غير مثال وليس وليد اليوم والأمس القريب بل نستطيع أن

[1] – إبراهيم مصطفى إبراهيم، في فلسفة العلوم، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، (ط1)، 2000، ص: 54.

[2] – يمنى طريف الخولي، فلسفة القرن العشرين، عالم المعرفة، دط، 2000، ص 287.

نلمس جذوره منذ الماضي السحيق، وقد أقرت الوضعية المنطقية أنها تأثرت بالفلسفة التحليلية عند الأولين والسابقين لكنها طورتها بما يتفق مع فلسفتها وأهدافها[1].

ويؤكد فلاسفة الوضعية المنطقية هذا الاتجاه فيقولون:

1-إن منهج الفلسفة هو التوضيح المنطقي للأفكار.

2- إن الفلسفة ليست شيء أخر سوى التحليل المنطقي للغة.

3- الفلسفة تحليل وإننا نسير وفق التحليل المنطقي لا الفلسفي.

4- إن موضوع الفلسفة هو توضيح الأفكار منطقيا.

5- إن عمل الفلسفة هو النقد والتحليل يقصد بالفلسفة.

6- تحليل وتوضيح الأفكار الغامضة.

فما المقصود بالتحليل؟ وما علة استخدامه؟ وهل جاء على غير مثال أم له أصول وجذور فلسفية عميقة؟.

إن المقصود بالتحليل هو التوضيح clarification وتطهير الفعل وتصفيته وإزالة ما يتعلق به من الأخطاء التي ارتكبها أصحاب النظرية الميتافيزيقية وليس المقصود من التحليل –الترجمة- أي ترجمة عبارة لعبارة أخرى مساوية لها كأن يترجم عبارة الجو حار من اللغة الفرنسية إلى اللغة الإنجليزية مثلا وليس الغرض من التحليل أن يكون مرادفا لتعريف définition مثل: كلمة ليث مرادفها أسد وإنما هو أعم من هذا كله فقد هدف لتوضيح المفهومات الجارية ونقل الفكرة وتحويلها من حالة مبهمة غامضة إلى حالة ظاهرة[2]، ومثلما تأثرت الوضعية المنطقية للفلسفات التحليلية من جهة تأثرت كذلك بكل فلسفة رافضة للميتافيزيقا من جهة أخرى، وهذا كان المبدأ الأساسي التي قامت عليه الوضعية المنطقية ويمكن أن ندل على ذلك فيما جاء على لسان كارناب Carnap (1891- 1970) وهو أحد كبار التجربانية المنطقية وأكثرهم عداء

[1] – لطفي بركات، فلسفة الوضعية المنطقية والتربية، المرجع السابق، ص ص: 16، 25.

[2] – المرجع نفسه، ص: 16.

للميتافيزيقيا حيث قال: " من شاك اليونان إلى تجريبي القرن التاسع عشر فإن خصوم الميتافيزيقيا كانوا دائما موجودين. وقد تنوعت انتقاداتهم، وقد ذهب الكثير منهم إلى اعتبار قضايا الميتافيزيقيا فاسدة، لأنها تتعارض مع المعرفة التجريبية واعتبرها آخرون غير يقينية، لأنها تطرح مشاكل تتجاوز حدود المعرفة الإنسانية، كثير من أعداء الميتافيزيقيا صرحوا بأن طرح مسائل الميتافيزيقية هو عمل عقيم ".

ولهذا فإن الوضعية المنطقية جاءت من جهة ضمن سياق نقدي تاريخي، ومن جهة أخرى، نتيجة التطور الذي حصل في المجالات المعرفية المتباينة (المنطق، العلم ، اللغة)[1]. وفي نفس السياق يؤكد كارناب على التحليل المنطقي فيقول: "بأننا لا نجيب عن أسئلة فلسفية سواء كانت تتعلق بالميتافيزيقا أو نظرية المعرفة أو الأخلاق لأن اهتمامنا هو بالتحليل المنطقي"[2]، ومن بين المناهج التي تأثرت بها الوضعية المنطقية وعلى أساسها بنت منهجها ما يلي:

المدرسة السقراطية المدرسة الامبيريقية، ايمانويل كانت المذهب الوضعي،المذهب النفعي، المذهب البرجماتية.

والآن سنقوم بالتفصيل أكثر في أهم مصادر منهج الوضعية المنطقية كما يلي:

1-المدرسة السقراطية: قبل الحديث عن المنهج السقراطي نقدم لمحة عن جماعة السوفسطائية باعتبار أنها أول من استخدم المنهج التحليلي قديما والتي كان هدفها تحليل المعرفة والبحث في إمكانياتها في الوقت الذي كانت تسود فيه سيطرة المطلقية في ميادين المعرفة والأخلاق أما المنهج السقراطي فقد حاول تحليل مفاهيم الألفاظ الأخلاقية كالتقوى والشجاعة والعدالة وغيرها ويتضح ذلك جليا في محاورة "بارمانيدس" sharmides حيث يحلل العفة temperance والاعتدال، وفي محاورة لسيس lysis يهتم بتحليل الصداقة، كذلك نجده في محاورة أطيفرون يحلل العدالة والتقوى. وكانت طريقة التحليل تتمثل في إلقاء بعض الأسئلة على تلاميذه قائلا –

[1] – الشريف زيتوني، مشروع الميتافيزيقا من الناحية المنطقية، المرجع السابق، ص ص: 107، 108.

[2] – ألفريد جولس أير من الوضعية المنطقية إلى التحليل النفسي، المرجع السابق، ص ص: 52.

مثلا – : ما هي العدالة؟ ماذا تعنون بهذه الألفاظ المجردة التي تحكمون بها حكما قاطعا في مسائل الحياة والموت؟ وماذا تعنون بألفاظ الشرف والفضيلة ؟[1].

ولعل المكانة الرئيسية التي يحتلها سقراط في الفكر الإنساني مردها إلى استخدامه أسلوب التحليل وفق النقاش.

كذلك كان أفلاطون فيلسوفا تحليليا في كثير مما تعرض له، ومحاورة بارميدس مثل جيد في طريقته التحليلية، فبعد مقدمة طويلة تتألف هذه المحاورة من عدة فروض يحاول أفلاطون تحليل هذه الفروض واحد إثر الأخر مثل ذلك:

1-إذا كان واحد فكيف نتثبت من صحة هذا الفرض؟

2- إذا كان المثال كثير فكيف يخرج الواحد من الكثرة؟

3- إذا كان المثال واحد فكيف تخرج الكثرة من الواحد؟

ويحلل أفلاطون هذه الفروض تحليلا فلسفيا فيقول مثلا: إذا كان المثال الواحد فهو إذن ليس متكثرا؟ وليس كليا؟ وليس مكونا من أجزاء؟... الخ.

وفي هذه المحاورة أيضا – يقول- أننا إذا سلمنا بوجود عالم المثل استطعنا أن نقرر أن الكائن الحسي واحد لمساهمته في مثال الواحدة، وكثير لمساهمته في مثال الكثرة، وهكذا يتضح استخراج الإطار الرياضي المتضمن في الواقع الكيفي.

كذلك تأثرت الوضعية المنطقية بتحليلات "أرسطو"، فقد قام بتحليلات لمفهوم الشجاعة والفضيلة والعدالة والصداقة فنجده –مثلا- يعرض لتحليلات الصداقة إلى صداقة المنفعة، وصداقة الخداع، وصداقة الحق، وكذلك لتحليلات الشجاعة إلى شجاعة المدينة، وشجاعة الخبرة، وشجاعة الغضب، وشجاعة الثقة بالنجاح، وشجاعة الإكراه، وغيرها من المفاهيم

[1] – لطفي بركات، فلسفة الوضعية المنطقية، المرجع السابق، ص ص: 25، 26.

والقيم الأخلاقية هذه لمحة خاطفة من النماذج التحليلية عند المدرسة السقراطية تدل على أن التحليل كانت له خطورته وتفوقه منذ الماضي السحيق[1].

ورغم تأثر الوضعية المنطقية بالتحليلات السقراطية فإنه يوجد ثمة فروق جوهرية بين التحليل السقراطي، والتحليل عند الوضعية المنطقية، فالأول تحليل فلسفي صوري والثاني تحليل وضعي منطقي والاختلاف بينهما عميق، فالأول منهج عقلي نظري والثاني منهج عملي تجريبي وبينما الأول قضاياه معيارية –نرى الثاني قضاياه وضعية تقريرية، فالتحليل عند الوضعية المنطقية تحليل نقدي واضح بينما يتسم المنهج الأول بالسذاجة Naive والغموض Ambigutiy، وهذا يبين أن الوضعية المنطقية وإن كانت قد تأثرت بمثل هذه التحليلات إلا أنها عدلت فيها وطورتها بما يتفق مع أصول فلسفتها وأسسها وأهدافها.

2- المدرسة الإمبيريقية: والمصدر الثاني الذي أخذت عنه الوضعية المنطقية وتأثرت به هو الاتجاه الإمبيريقي مثلا عند فرانسيس بيكون (1685- 1752)، جون لوك (1632 - 1714)، وبار كلي (1685- 1752) ودافيد هيوم (1711 - 1776) ونستند على هذا التأثير من تأكيدات أتباع الوضعية المنطقية في أنهم وجدوا في "فرانسيس بيكون" النبي والمبشر و"لوك" الموجه والمخطط، و"هيوم" الناقد والمصلح للاتجاه الوضعي المنطقي ،كان لوك مهتما بالتحليل، ففي كثير من مؤلفاته يؤكد ضرورة فحص وتحليل قدراتنا الخاصة قبل إصدار حكم ما، والدارس لكتابة مقال في الفهم الإنساني Modern essaya، on human uderstanding يتضح أنه عمل تحليلي دقيق.

وإن المتصفح لكتابات بيكون - تضمنه لذروته الفلاسفة المحللين- فإن تحليلاته للأوهام idols العقل يؤكد دعوانا هذه، كذلك كان " بار كلي" فيلسوفا تحليليا فقد قام بتحليل المادة

[1] - لطفي بركات، فلسفة الوضعية المنطقية و التربية ، المرجع السابق، ص ص 26-27-28

substratum materiel والأفكار المجردة Abstract ideas[1] ويقرر أن "وجود الموجود هو أن يدرك أو أن يدرك". وهذه عبارة مأثورة عنه، والمدرك معنى، وغير المدرك لا وجود له.[2]

ويعتبر هيوم –بحق– المبشر الأصيل للمنهج التحليلي المنطقي[3] بحيث قام بتحليل المعرفة كما تبدو للوجدان خالصة من كل إضافة عقلية، وفقا للمبدأ الحسي بحيث يقول: "بأن شيئا لا يحضر في الذهن إلا أن يكون صورة أو إدراكا"، على ما يقضي به المبدأ التصوري فمذهبه يرجع إلى نقطتين. حسية وتصورية ، كمذهب لوك ومذهب باركلي[4]، فالأفكار أو المعاني المشروعة من زاوية نظره لا تخرج عن نوعين:

1-الأفكار أو المعاني الرياضية (الهندسة، الجبر، الحساب).

2-الوقائع أو الظواهر الحسية (العلوم الطبيعية).

كما يرى هيوم أن المفاهيم الميتافيزيقية غامضة لم تزد على كونها عرقلت التطور الطبيعي للعلم، بحيث تظهر عداوة هيوم للميتافيزيقيا جلية في كل أقسام كتابه (بحث في الفهم الإنساني)، غير أنها تظهر بشكل صريح وجازم في تلك الخاتمة التي أنهى ها كتابه فقال: " حينما نطوف المكتبات وإذا كنا مخلصين لمبادئنا فما أكثر الأشياء التي يجب أن نحطمها؟ فإذا أمسكنا بكتاب في اللاهوت أو الميتافيزيقا، على سبيل المثال، فتساؤل هل يحتوي على استدلالات مجردة ذات صلة بالكم أو العد؟ كلا هل يحتوي على استدلالات تجريبية ذا بالأشياء واقعي أو وجودية؟ كلا فلنلق به في النار، لأنه لا يتضمن سوى سفسطة وأوهام "، إن هذه العبارة تجسد بقوة النزعة العلمية الفارقة في التجريبية المستبعدة للتصورات الميتافيزيقية، ولكونها كانت مصدر للفلسفات الوضعية بصورة عامة، والتجربانية المنطقية بصورة خاصة، ويؤكد ذلك زكي نجيب

[1] – أحمد لطفي بركات، فلسفة الوضعية المنطقية والتربية، المرجع السابق ص ص: 28- 29.

[2] – يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف القاهرة، (ط5)، (دت)، ص: 167.

[3] – لطفي بركات، فلسفة الوضعية المنطقية والتربية، المرجع السابق، ص : 30.

[4] – يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، المرجع السابق، ص 173.

محمود[1] (المتوفى 1993) الذي قال: "يعد هيوم أبا لحركة فلسفية تعاصرنا اليوم ونعاصرها وهي الحركة التي يطلق عليها أنصارها اسم " الوضعية المنطقية" حينا، واسم "التجريبية العلمية"حينا آخر، وإلى هذه الحركة الفلسفية انتمي، على أن "هيوم " وإن يكن أصلا تفرعت عنه المدرسة التجربانية العلمية القائمة بيننا اليوم، إلا أن بينه وبينها ما بين الأصل وفرعه من اتفاق في الأساس واختلاف في تفصيلات الورق والثمر". وهذا قول يتقاطع إلى حد بعيد مع وجهة نظر (أي، جي، مور) الذي رأى أن موقف التجربانيين المنطقيين العام يتشابه إلى حد بعيد مع وجهة نظر "هيوم"، فهم -كهيوم- يقسمون القضايا المفيدة إلى فئتين: قضايا صورية وهي عبارة عن تحصيلات حاصلة، وقضايا واقعية تتطلب أن تكون قابلة للتحقق التجريبي.

ورغم تأثر الوضعية المنطقية بالمدرسة الأمبيريقية إلا أن الوضعية المنطقية تختلف عنها بإدخالها الرياضيات والمنهج المنطقي، كما أدمجت الرياضة مع العلوم الطبيعية في بناء واحد -وبهذا استطاعت أن تعالج عددا من المشكلات وتقدم لها حلولا محددة متسمة بالسمة العلمية أكثر من اتسامها بالسمة الفلسفية الميتافيزيقية- فاستطاعت بذلك أن تعالج المشكلات الفلسفية والخلقية واحدة بدلا من الانغماس في شغل نفسها بنظرية شاملة Ablock theory للكون –ننظر إليه من حيث هو كذلك- وهكذا يتضح لنا أنه رغم تأثر الوضعية المنطقية بالمدرسة الأمبيريقية إلا أنها اختلفت وتميزت عنها في أمور كثيرة.

3- إيمانويل كانت (1724 – 1804): والمصدر الثالث الذي تأثرت به الوضعية المنطقية هو الفيلسوف الألماني "كانت" ففلسفته كانت تحليلية نقدية للقضايا المختلفة والدليل على ذلك تحليلاته لهذه القضايا إلى قبلية تحليلية Analytic apriori وبعدية تحليلية[2] وقبلية تركيبية synthethic apriori وبعدية تركيبية synthec aprsterioi ثم تحليلية للحكم القبلي والبعدي واعتبار الأول مستقلا عن كل تجربة والثاني مصدره الخبرة والتجربة.

[1] – الشريف زيتوني، مشروعية الميتافيزيقا من الناحية المنطقية، المرجع السابق، ص ص: 140.

[2]– لطفي بركات، فلسفة الوضعية المنطقية والتربية، المرجع السابق، ص: 31.

ويصرح كانت بأن عمل الفيلسوف التحليلي ليس أن يتناول المواقف الأخلاقية بالقبول أو الرفض، وإنما عمله ينحصر في تحليل هذه المواقف بغية الكشف عنها وتوضيحها.

فالمتصفح لمؤلفاته يشعر بمدى اهتمامه بالتحليل والمنهج التحليلي، واتخاذه معولا لهدم الميتافيزيقية التقليدية، ومن أهم مؤلفاته:

نقد الفعل النظري Critical of pure reason

نقد العقل العملي practical reason

نقد الحكم sudgment

وقد استخدم "كانط" كلمة نقد مرادفه للتحليل وصرح بأن المهمة الأساسية التي يستهدفها منهجه هي محاولة تحليل إمكانية المعرفة في شتى مجالاتها الفلسفية الخلقية، ولعل ما يقرب كانت من الوضعية المنطقية تمسكه بالخبرة الحسية للمعرفة العلمية السلمية، وتأكيداته بأن الإنسان إذا تعدى حدود الخبرة أسلم نفسه للوقوع في الخطأ.

كذلك هجومه على ميتافيزيقا الأخلاق، ومحاولته إقامتها على أسس علمية صحيحة وهذا يبدو جليا[1] في نقد كانت الفلسفة العقلية، ففي رسالته بعنوان " الأساس الممكن الوحيد للبرهنة على وجود الله"، ينقد الدليل الوجودي الذي يستخرج الوجود كمحمول من فكرة الله كموضوع، ينقد الدليل الطبيعي الذي ينتقل من وجود حادث إلى وجود ضروري كامل، ويعود إلى الدليل الوجودي، وينقد دليل العلل الغائية بحجة أن كمال العالم نسبي فلا يدل بذاته على موجود كلي الكمال وأن هذا الدليل أيضا يعود إلى الدليل الوجودي.

وفي "دراسة في الوضوح مبادئ العلم الإلهي النظري والأخلاق" (1764) يذهب إلى أن العقل المنطقي لا يجد في ذاته حقائق معينة، وإنما يجد مبادئ عامة جوفاء، كمبدأ الذاتية الذي لا يعطينا بنفسه موضوعا للعلم.

[1] – لطفي بركات، فلسفة الوضعية المنطقية والتربية، المرجع السابق، ص ص: 31، 32.

وفي "أحلام واهم معبرة بأحلام الميتافيزيقا" (1766)[1] وكذلك كتابه "التمهيد لكل ميتافيزيقا مستقبلية تريد أن تكون علما وأراد رد الأخلاق إلى المنهج التجريبي وتجاهل ما ينبغي أن يكون حتى تكون أساس الأخلاقية حياة الفرد في ظل المجتمع الذي يعيش فيه ويتأثر به، واعتبر الأخلاق نابعة من التجربة والمجتمع وأكد نسبية الأخلاق، وأكد ضرورة التمرد على القيم المطلقة شرط ألا يقضي هذا التمرد إلى انهيار قيم المجتمع وانحلاله.

وهكذا يتضح لنا مدى تأثير الوضعية المنطقية بالمذهب لاسيما بتأكيداته في رفض التفكير الميتافيزيقيةMétaphysique وإحلال محله التفكير الوضعيpositif أو العلمي Scientifique ورغم هذا – فإنه يوجد اختلاف كبير بين حركة الوضعية المنطقية والمذهب الوضعي فالأول تنظر إلى الميتافيزيقا الأخلاقية في شتى صورها على أنها فارغة non. Sens ولا معنى لها- بينما ينظر إليها الثاني على أنها أصبحت غير ذات موضوع ولم يعد لها فائدة useless فقد انتهى عصرها وأيقن الإنسان عدم وجودها لأنه أصبح عاجزا عن تفسير المشكلات الفلسفية والأخلاقية عن طريقهما حتى جاء عصر العلم وحاول الإنسان أن يضع الفروض الإعتقادية في إطار المعرفة الواقعية التحليلية.

كذلك ما يميز الوضعية المنطقية عن هذه الوضعية القديمة مناداتها بالمنهج التحليلي المنطقي.

وتلك هي الوضعية التي أثرت كثيرا في الوضعية المنطقية والتي مدت أطرافها حيث ترعرعت على أيدي "جون ستيوارت مل" وغيره من النفعيين.

-**المذهب النفعي**:* لقد تأثرت الوضعية المنطقية بالمذهب النفعي عند جون ستيوارت ميل فما زالت عباراته ترددها جماعة الوضعية المنطقية التي تقرر "أن تصوري للعالم مستمر طالما أحس به".

[1] – يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع السابق ، ص : 211، 212.

* – المذهب النفعي هو نظرية الأخلاق ذات الطابع المميز للتجربة الإنجليزية .

كما يبدأ تأثر الوضعية المنطقية لبعض الاتجاهات الأخلاقية عند المذهب النفعي، كتأكيده بضرورة رد الأخلاقية إلى الواقع وبيان أن الأخلاق لا تهدف لخلق قديسين وأولياء بل تهدف إلى توجيه النشاط الإنساني في إطار المجتمع الذي يعيش فيه ومناداتها بأن مهمة الأخلاق اصطناع المشاهدة والتجربة القائمة على أساس المنهج الاستقرائي ولذلك كان من أبرز الأسس الخلقية المتفق عليها بينهما كالتالي:

1-إن الأخلاقية من صنع الإنسان والمجتمع وليس من صنع قوى أخرى غير مرئية.

2-إن الأخلاقية تنبذ القيم المطلقة وتقبل القيم النسبية المرتبطة بحاجات الناس.

3- إن الأخلاقية تؤكد ضرورة تحليل المفاهيم الأخلاقية في إطار ظواهر الواقع وإخضاع القانون الخلقي من سلوك الناس فيكون معبرا عن رغباتهم واتجاهاتهم الأخلاقية بدلا من إخضاعهم للقانون التعسفي خارج عنهم.

ورغم هذا الاتفاق بينهما على بعض الأسس الأخلاقية إلا أن الوضعية المنطقية لها مواقف معينة وتحفظات كثيرة على بعض قواعد هذه المذاهب الأخلاقية يمكننا عرضها بإيجاز:

تقول الوضعية المنطقية في بيان أوجه الاختلاف بينها وبين المذهب النفعي انه رغم اتفاقهما في رهن الأخلاقية بسعادة المجتمع إلا أن مذهب المنفعة رأى هذه السعادة في الرغبة المطلقة absolute desire لسعادة المجتمع في حين قابل لتعديل والتطوير حسبما تقتضيه ظروف المجتمع، لذلك كان مفهوم السعادة عند الوضعية المنطقية نابعا من المجتمع بينما هذا المفهوم عند النفعية مفروض فرضا عليه. كذلك لا توافق الوضعية المنطقية على موقف النفعية بأن القيم الأخلاقية تكون مرهون بأكبر قدر من السعادة وأكبر عدد من الأفراد لأنها[1] قضية تعسفية يترتب عليها أن السعادة التي تنقص عن تحقيق هذا القدر ليست من القيم الأخلاقية في شيء .

[1]- لطفي بركات، فلسفة الوضعية المنطقية والتربية، ص: 26، 27.

فالوضعية المنطقية تشبه المذهب النفعي بالمشرع يشرع حسب هواه ومزاجه دون أن يضع في اعتباره وجوب كون هذه التشريعات معبرة عن أحاسيس الناس ولذاتهم ولذلك كانت أخلاقيات النفعية أخلاقيات رغبة وهوى désire في حين أن الأخلاقيات التي تؤكدها الوضعية المنطقية أخلاقيات مطلب وحاجة demand.

"كذلك لا توافق الوضعية المنطقية على الدعوى النفعية بأن اللذة خير في ذاتها " pleasure is in itself لأن الخبرة أو ضحت أن الإنسان كثير ما يطلب اللذة التي قد تجلب له الألم –فالمعانات والألم يمكن لأن يكون من مطالب الإنسان وحاجاته– ثم إن تحديد النفعية للقيم الخلقية تحديد وصفي خالص لاسيما فيما يتعلق بالخيرية والشرية.

فافرض مثلا أننا واجهنا عملية الاختيار بين مجموعة من الأفعال فإننا وفق المبدأ النفعي سوف نختار الفعل الذي سيحقق لنا أكبر قدر من السعادة وسيكون الفعل حين ذاك صوابا right مع أنه وفق نظرياتهم يرون أن الفعل الذي نلجأ إليه هو الذي يحقق السعادة القصوى، أي أن الفعل صواب لذلك فقد اتجهنا إليه وليس اتجاهنا إلى الفعل هو الذي صبغه بهذه الصبغة وأخيرا فإن الوضعية المنطقية لا توافق على الجزاءات التي نادى بها دعاة النفعية "لأنها وسائل سلبية أكثر منها إيجابية في تعديل سلوك الناس" .

-المذهب البرجماتي[*]: والمصدر الأخير الذي تأثرت به الوضعية المنطقية المذهب البرجماتي الذي تزعمه شارل ساندربيرس (1839- 1914)، ووليام جيمس (1843- 1910) وجون ديوي (1859- 1952)[1]، إن البرجماتية هي النظرية القائلة بأن فكرة أو الفحوى العقلي للكلمة أو لأي تعبير آخر، إنما تنحصر فيما تتصوره لها من أثر على مسلك الحياة، إذ بديهي أن ما ليس ينتج عن التجربة يستحيل أن يكون ذا أثر مباشر على السلوك، وعلى ذلك فإن

[*] – كانت كلمة البرجماتية قليلة الاستعمال في اللغة الإنجليزية و لم تكن مستعملة على الإطلاق في سياق الحديث الفلسفي حتى أدخلها الفيلسوف الأمريكي شارل ساندربيرس 1839 – 1914 في عام 1878 على أنها اسم لقاعدة منطقية تقصد إلى تحديد معنى الكلمات التي صاغها.

[1] – لطفي بركات، فلسفة الوضعية المنطقية والتربية، مرجع سابق، ص: 36، 39.

استطعنا أن نعرف بدقة جميع ظواهر التجربة الممكن حدوثها، والتي تتربى على إثباتها أو على إنكارها لفكرة ما، استطعنا بذلك أن نحصل على تعريف كامل للفكرة ، لأنه محال أن يكون في مضمونها شيء أكثر من تلك الظواهر التجريبية"[1] ، كما تعتبر الوضعية المنطقية كذلك ثمرة التفكير المنطقي لدى "براترا ندرسل"و فتجنشتين و"بياثو" ن بحيث يعتبر "فتجنشتين المؤثر الأول والمباشر على نشأة الوضعية المنطقية[2]، كما أنه توجد نتائج مهمة للمذهب البرجماتي ومثال ذلك النتيجة القائلة بأن: "كل قضية من قضايا الميتافيزيقا الوجودية تقريبا تكون إما استحالة صريحة أو لغوا خاليا من المعنى"[3].

ونجد تأثر الوضعية المنطقية بالاتجاه البرجماتي فيما يلي:

1-كلاهما يؤمن بأهمية المنهج التحليلي القائم على أساس التحقق وفي ذلك يقول جيمس "إن أفكارنا الصادقة هي التي يمكن تحقيقها veritiy"

2- كلاهما يؤمن بالحس كأداة للوصول للمعرفة في شتى مجالاتها ويرفض كل صورها المتعالية عن الحس transe cendentalism لاسيما المعرفة الحدسية . intuitive conation

3- كلاهما يؤمن بنسبية القيم وفي ذلك يقول ديوي "ليس هناك خيرية قصوى ولا شرية مطلقة، بل هناك عدة مواقف كل موقف يتسم بخيرية أو شرية لا تتشابه مع الموقف الأخر.

4-كلاهما يؤمن " بأن الأخلاق أساسها العادات customer morality والخبرة أساسها تعديل السلوك.

[1] - محمد عبد الله الشرقاوي، مدخل لغوي لدراسة الفلسفة، دار الجيل، بيروت ، مكتبة الزهراء لجرم ، جامعة القاهرة، (دط)، (دس)، ص: 165.

[2] - فؤاد كامل وآخرون ،الموسوعة الفلسفية المختصرة مراجعة زكي نجيب محمود، دار القلم بيروت، لبنان، (دط)، (دس)، ص: 410.

[3] - المرجع نفسه، ص: 410.

5- كلاهما يهدف لتوضح الفكر وإزالة الغموض عنه وفي ذلك يقول بيرس: في مقالة بعنوان الطريق لتوضيح أفكارنا how to make ourideas clear "إن أفكارنا عن الأشياء هي أفكارنا عما ندركه من أثار حسية :.

ورغم هذا الاتفاق العميق بين الاتجاهين إلا أنه توجد ثمة فروق بينهما:

1-القوانين العلمية عند البرجماتية على استمرار متصل بمعنى أن النتيجة (أ) تكون مقدمة للنتيجة (ب) مقدمة للنتيجة (ج)، أما القوانين العلمية عند الوضعية المنطقية فغنها تقطعها إلى شرائح كل شريحة مستقلة عن الأخرى وليس إحداهما مقدمة أو نتيجة للأخرى.

2- الميتافيزيقا عند الوضعية في كل صورها ومجالاتها لغو لا معنى له meamingless gibbrish وتفوهات لا طائلة ورائها في حين إن من البرجماتية من يرى أن الميتافيزيقية لها قميتها وفعاليتها وفي ذلك يقول ويلم جيمس: "إن ميتافيزيقا تصب الحياة والنور للكون والطبيعة it gives lif and light to cosmology and physiq، وإنها يجب آن تبقى ويحسها كل فرد طالما تحقق نفعا وفائدة.

3- والقيم الأخلاقية عند الوضعية –بمعناها الميتافيزيقي- ليست سوى تعبير عن تمنيات وانفعالات بينما القيم الأخلاقية عند البرجماتية له صورها المنطقية لأنها تعبر عن رأي أو موقف لم يستقر بعد.

هذه هي المصادر التي تأثرت بها الوضعية المنطقية أجملناه وعرضنا أصولها وأسسها دون تحليل لفروعها وتفاصلها، وقد اتضح لنا أن الوضعية المنطقية وإن كانت قد تأثرت بسابقين والأولين إلا أنها لم تكتفي بما أخذت وإنما أعطت أكثر مما أخذت وأصبح لها منهج مختلف ومتمايز عن بقية النزعات الفلسفية الأخرى طبقته في مختلف مجالات الفلسفة والأخلاق.[1]

[1] - لطفي بركات، الفلسفة الوضعية المنطقية والتربية، مرجع سابق، ص: 41، 42.

الفصل الثاني

جذرية العلاقة بين العلم والإيديولوجية في فلسفة الوضعية المنطقية

- المبحث الأول: السمات المعرفية والإيديولوجية للوضعية المنطقية
- المبحث الثاني: رفض الميتافيزيقا والفلسفة وتأسيس العلم على الإيديولوجيا

المبحث الأول: السمات المعرفية والإيديولوجية للوضعية المنطقية:

استمدت الوضعية المنطقية كما سبق أن ذكرنا تراثها الأول من الفيلسوف الفرنسي أوغست كونت ومل وسبنسر في انجلترا، إلا أنها لا تدين لهم بالقدر الذي تدين به للوضعية المحدثة التي وضعها الفيلسوف النمساوي أرنست ماخ وهنري وبوانكاريه، وآينشتاين، بينما كان منطقها من الناحية التاريخية هو منطق فريجة ورسل، بينما يعود التأثير الكبير والمباشر في نشوء الأفكار الأساسية للوضعية المنطقية وتبلورها كتاب فيتجينشتين " رسالة منطقية فلسفية "، دون أن ننسى كتاب كارناب " البناء المنطقي " الذي كان بمثابة البيان الفكري لتيار الوضعية المنطقية.والواقع أن المحور التجرباني، يعد بالنسبة للوضعية المنطقية حقلا معرفيا خصبا بلور بصورة واضحة تصورها للعالم، باعتباره أعطى الأولوية للمعطى الحسي في تحديد العلاقة بين الانطباعات والأفكار، بخلاف الفلسفة العقلانية التي راهنت على فعالية العقل في الوصول إلى اليقين المطلق [1] يقول هيوم: " إن من حرم حاسة حرم بالتالي الأفكار التي يمكن أن تترتب عن انطباعات تلك الحاسة المفقودة، فالأعمى لا يعرف اللون والأصم لا يعرف الصوت... ولو رد للأعمى بصره والأصم سمعه تفتح لهما طريقا جديدا تنساب إليهما منه أفكار لم يكن لهما بها علم " [2] أي أن كل معارفنا تعود إلى الحس، بحيث رفضت الوضعية المنطقية الميتافيزيقا وخصائصها ومنهجهما العقلي، فالقضايا لا معنى لها إلا بإمكانية تطبيقها تجريبيا، من هنا قسموا القضايا إلى قسمين:

[1] – الشريف زيتوني، مشروعية الميتافيزيقا من الناحية المنطقية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، دط، 2006، ص 179

[2] – لطفي بركات، فلسفة الوضعية المنطقية والتربية، دار النهضة العربية، دط، ص 45.

قضايا تحليلية: كقضايا العلوم الرياضية وهي القضايا التي لا يزيد محمولها عن موضوعها أي تحصيل حاصل كالقول: 1+1=2، بحيث يكون معيار الصدق فيها اتساق الفكر مع نفسه أو قانون عدم التناقض.

أما القسم الثاني: وهي قضايا العلم الطبيعي تاتي بعلم جديد يتطلب التحقق من صدقه عن طريق التجربة الحسية فإن أثبته كان صادقا، وإلا فهو كاذب، وهم في ذلك إتباع لأب أصيل من أباء المذهب الوضعي وهو " ديفيد هيوم" إذ يقول في عبارته المشهورة: " إذا تناولت أيدينا كتابا كائنا ما كان في الاهوت أو الميتافيزيقا الأسكولاتية مثلا: فلنسال: هل يحتوي هذا الكتاب على أي تدليل مجرد يدور حول الكمية والعدد ؟ لا ! هل يحتوي على أي تدليل تجريبي يدور حول الحقائق الواقعية في الوجود ؟ لا، إذن فاقذف به في النار لأنه يستحيل أن يكون مشتملا على شيء غير سفسطة ووهم".

أما القسم الثالث فهو يضع عبارات لا هي تحليلية ولا تركيبية إخبارية لكنها أقرب إلى التعبيرات الانفعالية العاطفية كعبارات: " الميتافيزيقا، الأخلاق، والجمال " ومن ثم كانت في نظرهم كلاما فارغا [1]، كما جعلت مهمة الفلسفة تقتصر على التحليل المنطقي للغة المستخدمة في الحياة اليومية، وكذلك تحليل للغة العلم، فالتحليل المنطقي للغة يسمح برسم خط تمييز ما بين القضايا أو المنطوقات المحلاة بالمعنى، و من بين القضايا أو المنطوقات الخالية من المعنى، يصف موريس شليك بقوله: " يتميز المنعطف الكبير المعاصر بواقع أننا نعتبر الفلسفة ليست البتة كنسق معارف، لكن كنسق أفعال، فقال الفلسفة هي النشاط الذي بواسطته تكشف دلالة المنطوقات أو القضايا وتحدد، فالفضل يعود إلى الفلسفة في تفسير المنطوقات أو القضايا وبفضل العلم، هي محقة، فهذا الأخير يهتم بصدقها، والفلسفة تهتم بدلالتها الفعلية، فالنشاط الفلسفي يتمثل في إعطاء المعنى، وهو نشاط يشكل ألفا وسيطا لكل معرفة علمية. وبهذا تزول الميتافيزيقا

[1] - إمام عبد الفتاح إمام، مدخل إلى الميتافيزيقا، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2005، ص 181، 182.

ليس لأن هذه المهمة التي أوكلت إليها تتجاوز قدرات عقولنا لكن بسبب أن هذه المهمة لا توجد، [1]من هنا أصبحت الفلسفة تناول المشكلات والموضوعات بالتحليل والتوضيح. فالفلسفة كما عرفها فتجنشتين هي: " توضيح الأفكار توضيحا منطقيا " [2]. فالوضعية المنطقية لا تعترف إلا بالقضايا التحليلية والتركيبية أما القضايا التي لا تقوم على التجارب والمشاهدة مهما كانت تعتبرها من الأوهام، أي كلام لا معنى له، لأنه لا يمكن التثبت منه تجريبيا، فقولنا مثلا: " النفس خالدة "، " المكان لا متناهي "، " الزمان لا متناهي " فمثل هذه القضايا تعد ميتافيزيقا، وهي قضايا ليست تحليلية بحيث لا تعتبر تحصيل حاصل كقضايا الرياضيات والمنطق، ولا تدخل ضمن القضايا التركيبية لأن التأكد منها عن طريق الخبرة الحسية غير ممكن، فلا يوجد شيء في الطبيعة اسمه النفس يمكن اختباره أو التأكد من وجوده فالنفس أصلا شيئا غير مادي ولا محسوس، ويمكن القول، مثل ذلك عن الزمان والمكان، فوظيفة الفيلسوف كما يؤكد آير هي أن يتصرف كرجل شرطة فكري، ووظيفته منع العبور إلى الميتافيزيقا. فالعلم يعطينا معرفة بالعالم أما الفلسفة فلا تستطيع ذلك [3]، فاكتساب المعرفة لا تتم عن طريق افكار قبلية موجودة بشكل مسبق بل عن طريق معطيات الخبرة الحسية Data of sense experience ، والواقع وخبرتنا به هو معيار صدق معارفنا. فبالخبرة والتجربة يستطيع الباحث أن يميز بين العبارات ذات المعنى meaning ful والعبارات ذات الخلو من المعنى فلا وجود لها إلا في خيال الإنسان وأحلامه وافكاره الماورائية.

وقد أكد أنصار الوضعية المنطقية على ضرورة التمييز بين عمل التجربة وعمل العقل، فالتجربة هي مصدر لاكتساب المعرفة العلمية ولتسويق صحتها وعن طريقها وعبر خبرتنا

[1] – لخضر مذبوح، فلسفة كارل بوبر، دار الألمعية للنشر والتوزيع، ط1، 2011، ص 94.

[2] – لودفيج فيتجنشتين، رسالة منطقية فلسفية، ترجمة عزمي إسلام، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ص 15.

[3] – حنان علي عواضة، موقف الوضعية المعاصرة من الميتافيزيقا (السلب والإيجاب)، مجلة كلية الآداب العدد 97، جامعة بغداد، كلية الآداب قسم الفلسفة، ص ص 480، 481.

الحسين نقوم بمطابقة القضية مع الواقع وفصل القول العلمي بصددها، أما العقل فمهمته منطقية بحتة يقوم بتجزئة القضايا الكلية universal statenments إلى قضايا فردية singular statenments وذلك لتسهيل عملية اختبارها والتحقق من واقعيتها – فالتحقق من القضايا الكلية متعذر – ويعد التحقق من القضية الفردية عن طريق الخبرة الحسية يقوم العقل بتميزيها بلغة رياضية، ويمنحها صفة الاتساق والواقعية [1]، فالوضعية المنطقية تحصر النشاط الفلسفي بكامله داخل نطاق اللغة وتقتصر مهمته على تحليل عبارته من حيث دلالتها ومن حيث تركيبها اللغوي [2]، فالمعرفة عند الوضعيين المناطقة تتكون من الوقائع الأساسية المعطاة لنا من خلال الخبرة المباشرة، ويتم التعبير عنها بواسطة قضايا البروتوكول، مبدأ التحقيق يمكننا من تمييز المعرفة العلمية من المعرفة الغير العلمية [3]، كما يرى الوضعيون أن دور الميتافيزيقا قد انتهى لأن العلوم الجزئية (علم الطبيعة والكيمياء...) يمكن الاعتماد عليها في معرفة حقائق عالم الواقع، لأنها تعتمد المناهج التجريبية في المعرفة [4]. فالمعنى الواقعي كما يرى الوضعيون لا يتحدد إلا من خلال تحقق المعنى وبكلمات أخرى، لكي نعرف ماذا تعني جملة واقعية، علينا أن نعرف ما هي الواقعة التي تدعمها، وما هي الواقعة التي تخفق في تدعيمها، بشرط أن لا يسمح بادعاء واقعة لا يمكن ملاحظتها عن طريق الحواس، ويمكن للتحقق أن يتم بشكل مباشر وذلك في حالة قولنا " هذا المربع أزرق اللون".

---

[1] – ماهر اختيار، إشكالية معيار قابلية التكذيب عند كارل بوبر في النظرية والتطبيق، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط1، 2010، ص 63.

[2] – عاطف أحمد، نقد العثقل الوضعي (دراسة في الأزمة المنهجية لفكر زكي نجيب محمود)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1980، ص ص 78- 79.

[3] – كارل بوبر، منطق الكشف العلمي، تر، ماهر عبد القادر محمد، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، دط، دت، ص ص 26- 27.

[4] – حنان عواضة، موقف الوضعية المنطقية من الميتافيزيقا، مرجع سابق، ص 477.

أو بشكل غير مباشر وذلك في حالة قولنا "تتكون الغازات من تجمع جزيئات "، فقد جعل الوضعيين المناطقة معيار التحقق * جزءا لا يتجزأ من نظرية المعنى عندهم ونظرية المعنى عندهم تفرق تفريقا حاسما بين ما يحمل معنى " نظري" أو " معرفي " وبين الفارغ من المعنى النظري أو الذي " يفتقر إلى المعنى المعرفي" وينقسم الخالي من المعنى النظري إلى ثلاث فئات فرعية:

1- الخلو من المعنى (أي الكلام الغير مفهوم كليا)، مثل: الكلام الذي يتفوه به الطفل متظاهرا في الحديث.

2- أساليب الكلام التي تحل بقواعد الستناكس (أي قواعد بناء الجملة الصحيحة) مثل عبارة وردة في كتاب الفيلسوف الوجودي " هيدجر" " ما هي الميتافيزيقا " والتي تقر أن " العدم يعدم نفسه " فهذهع العبارة تخطئ مرتين الاول هي أنها تستخدم فعل " يعدم " وهو فارغ من المعنى، والثاني أنها تتعامل مع الكلمة " عدم " بوصفها اسما بالحقيقة مشتقة من فعل.

3- التعبيرات " الانفعالية " ويدخل تحت المعنى " الانفعالي" كل الجمل الميتافيزيقية بالإضافة إلى الشعر والأخلاق المعيارية، والدراسات الدينية.

اما الذي يتصف بالمعنى النظري عندهم فهو ينقسم إلى قضايا تخضع إلى معيار التحقق من جهة، وتحصيلات الحاص أو نفيها من جهة أخرى ولا يسمح بالصدق الضروري في النسق الوضعي إلا بتحصيلات الحاصل. فقد جعل الوضعيين وهم تابعون في ذلك لفتجينشتين — الضرورة في تحصيلات الحاصل تنتمي إلى البنية الضرورية التي تتجنب المضمون الواقعي مثل إما ق أو لا ق فهي ذات صدق ضروري، لأن المعرفة يمكن البرهنة عليها عن طريق الإحصاء الرياضي [1].

*- بيد أن الفكرة المحورية في معيار التحقق لا تعتبر اختراعا خالصا للوضعية المنطقية، وإنما هي مفهوما براغماتيا لمعنى الشيء المدرك، قال به الفيلسوف تشارلز بيرس، كما يعد مذهبا إجرائيا قام به الفيزيائي الأشهر أينشتاين قبل أن تأخذ به الوضعية المنطقية.

[1] - رودولف كارناب، الأسس الفلسفية للفيزياء، تر، السيد نفادي، دار الثقافة الجديدة القاهرة، دط، دت، ص ص 10- 11.

بقي أن نقول أنه ليس من الصعب ملاحظة الباعث السياسي لهجوم الوضعيين المناطقة على الميتافيزيقا، لأن الآراء السياسية لجماعة فيينا كانت بصورة عامة ليبرالية، وكانت الجماعات الكاتولوكية الرجعية هي عدوهم الرئيسي، لذلك كان لديهم بالفعل المبرر لاثبات أن الاهوت الكاثولوكي خالي من المعنى وعقيم، ولذلك وجدوا لأنفسهم – من منطق علماني- يدخلون في معارك ضد القيادات الفلسفية لليمين الفاشستي، الذي كان يتمثل حينئذ، كما هو الآن في " هيدجر" و " نيتشه" كان الفيلسوف المفضل لدى هتلر. وعلى ضوء ذلك يصبح من المفهوم أن يأتي فيلسوف ليبرالي مثل " كارناب" ويرفض كتابات أمثال هذين الفيلسوفين إما أنها خالية من المعنى، أو لأنها مجرد انفعالات متدفقة.

ومع ذلك فإن النجاح الكبير والتاثر الاجتماعي للاهوت الكاثولوكي ولفلسفة " هيدجر " و" نيتشه" قد ألقيا بظلال من الشك حول مدى مصداقية آراء " كارناب". صحيح أنه ليس من اليسير إن لم يكن من المستحيل التعبير " هيدجر " بواسطة اللغة المحكمة للمنطق الصوري، ومع ذلك فإن هذا لا يقتضي أن نستنتج أن فلسفة " هيدجر " برمتها خالية من المعنى.

لا شك أن سوء النية قد توافر لدى " كارناب " حين استمد شواهده من عبارات " هيدجر " إذ من المعروف أن لهيدجر لغة خاصة تختلف كل الاختلاف عن لغة سائر الميتافيزيقيين وينبغي أننفهم في سياق وإطار فلفسة هيدجر وحدها، وما هيدجر إلا واحد من مئات الفلاسفة الميتافيزيقيين منذ أفلاطون وأرسطو حتى اليوم فكيف يصدر حكمه العام هذا على " كل " أو " آجل " الميتافيزيقا لمجرد شواهد من عبارات فيلسوف واحد تميزت لغته بطابع خاص جدا.[1]

[1] – حسين علي، الميتافيزيقا والعلم، المرجع السابق، ص ص 61- 62.

المبحث الثاني: رفض الميتافيزيقا والفلسفة وتأسيس العلم على الايدولوجيا

مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين حدثت تلك الهزة أو الزلال الفكري، الذي كان له أثر عميق على التيارات الفلسفية المعاصرة، وهذا من خلال فتح أفاق واسعة أمام الكشوفات العلمية خاصة ما أحرزه العلم التجريبي من تقدم، فالتحول العلمي الذي شهده العالم مع بداية القرن العشرين الذي ترتب عنه تضارب النظريات العلمية المعاصرة نتيجة عقم بعضها وخصوبة أخرى، فمنهم رافض للأفكار التقليدية ومنهم من تحفظ على بعضها، فالثمار التحليلية نشأت عنها الوضعية المنطقية التي كانت بمثابة الطفل المرعب في فلسفة القرن العشرين بحيث صدمت الحياة الفلسفية [1]، وقد كان الهدف الأساسي لهذه الأخيرة هو إحداث تغيير أو بمعنى تقويض أركان التفكير الفلسفي التقليدي [2]. فقد استلهمت الوضعية المنطقية روحها كما سبق أن ذكرنا من رسالة فيتجشتين وخاصة فيما يتعلق بتنكرها للتساؤلات الفلسفية ، وموقفها من الميتافيزيقا موقف المعاداة، فقد كان التساؤل حول الجدوى من الميتافيزيقا في زمن العلم هاجسا يؤرق الوضعيين، وهذا ما جعلهم يرفضون كل محاولة يراد بها الوصول إلى أسس علمية للميتافيزيقا، فالبحث بالنسبة للمناطقة في هذا المجال سيقود حتما إلى مشاكل تعتصي على الحل، لأنها وبكل بساطة قضايا خالية من المعنى، باعتبار أنهم قصروا القضايا ذوات المعنى على ما يمكن التحقق منها تجريبيا، ولم يجدوا أية وسيلة للتحقق من قضايا الميتافيزيقا فالميتافيزيقي يرى أن " الحقيقة هي المطلقة " realty is the absolute، ويرى آخر أنها تكمن في تعدد الأرواح، فالتجريبي هنا لا يضيع وقته في تقرير هذا أو ذلك ولكنه يتوجه بالسؤال: ما الخبرة الممكنة التي يمكن أن تحسم الأمر بينهما ؟ بالطبع لا يجد إجابة عن ذلك، من هنا يقوم أن مثل هذه العبارات بدون معنى لأنه لا يمكن التأكد من صدقها، فالقول أن " المطلق خارج الزمان"

[1] – عطيات أبو السعود، الحصاد الفلسفي للقرن العشرين، منشأة المعارف جلال حزي وشركاؤه، دط، دت، ص 13.

[2] – الشريف زيتوني، مشروعية الميتافيزيقا من الناحية المنطقية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، دط، 2006، ص 224.

أو " الجوهر أساس الوجود"مثل هذه التأكيدات لا يمكن التحقق من صدقها ومن ثم لا معنى لها[1]، فكان الهدف الاساسي للميثاق العلمي لجماعة فيينا تخليص الفلسفة والعلوم من الميتافيزيقا والقضايا الفارغة وتكوين قاعدة علمية لجميع العلوم .بحيث اعتمد التصور الوضعي على مبدأ التحقق ومنهج التحليل المنطقي الذي يستثمر آليات المنطق الرمزي وفلسفة التحليل، فهي لا تكتفي برفض الميتافيزيقا بل تبرهن بوسائل منطقية وتجريبية، بغاية الكشف عن الأقنعة الميتافيزيقية التي تختفي ورائها المفاهيم ذات الطابع الفلسفي [2]. فالتفكير الذي يتطلب ماهية الأشياء وعللها البعيدة هذا النوع من التفكير من وجهة نظر التجريبانية المنطقية لم يعد مقبولا في عصر سيطرة عليه مفاهيم وتصورات علمية جديدة تبجل معطيات الخبرة الحسية، وترفض كل ما يتجاوز حدود هذه المعطيات ولذلك يجب على الفلسفة الكف عن البحث في الحقائق المتعالية عن الواقع الحسي [3]، وإذا أرادت الفلسفة لها البقاء فعليها تطبيق المنطق على العلم، أي تجعل من نفسها منطق للعلم أو فلسفة له، وهذا ما قصده " الدكتور زكريا إبراهيم" من عبارته: " إنه إذا أريد للفلسفة أن تتخلص نهائيا من كل تنطوي عليه دراستها من لبس وغموض ولغو وتضارب في الآراء أن تتسلح بأسلحة " التحليل المنطقي " ألا وهي: الوضوح، والتمسك الداخلي، والقابلية للفحص والتكافؤ، والدقة والموضوعية، فليس للفلسفة من مهمة في نظر دعاة الوضعية المنطقية سوى العمل على ربط اللغة بالتجربة ربطا علميا وصياغة الواقع الخارجي صياغة منطقية " [4]، فهي بهذا تضع طريقا علمية للفلسفة بعد أن أنهكتها المغالطات والمتناقضات فأصبحت غير قادرة على أن تكون ذات نفع للعلم والعلماء [5]، وهذا ما تؤكده

[1] – ألفريد جولس آير، من الوضعية المنطقية إلى التليل الفلسفي، تر بهاء درويش، منشأة المعارف بالاسكدرية، جلال حزي وشركاؤه، دط، 2001، ص 53.

[2] – بدر الدين مصطفى، زعادة الإمام، الميتافيزيقا، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط1، 2012، ص 159.

[3] – الشريف زيتوني، مشروعية الميتافيزيقا من الناحية المنطقية، المرجع السابق، ص 224.

[4] – إبراهيم مصطفى إبراهيم، في فلسفة العلوم، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2000، ص 60.

[5] – بدر الدين مصطفى، زعادة الإمام، الميتافيزيقا، المرجع السابق، ص 159.

وجهة نظر فيتجشنتين الذي يرى أن الفلسفة مجرد جرد سلبي يراد من وراءه الكشف عن المتناقضات التي يقع فيها فلاسفة الميتافيزيقا، يقول زكي نجيب محمود: " الفلسفة بالمعنى المحدد الذي نريده لها لا تورط نفسها في مجالات العلوم الخاصة، ولا تخلق لنفسها مجالات غير مجالات العلوم، بل تجعل مهمتها تحليلا منطقيا للمدركات العلمية، والقضايا العلمية، وبهذا تصبح الفلسفة فلسفة للعلم أو تحليلا له هدفها هو التوضيح لا الاضافة الجدية فليس هناك عالم إلا عالم الواقع وليس لأحد أن يتحدث عنه حديثا موضوعيا إلا رجالات العلوم المختلفة، وللفلسفة أن تجيء بعد ذلك لتحلل وتوضح ".

فقد اقتصرت جهود الوضعيين على ما هو موضوع posited في الواقع الحسي الخارجي، بحيث ينظرون إلى هذا الموضوع من خلال منظور المنطق إذ يصوبونه على العبارات التي يضعها العلماء في وصف هذا الواقع وشرحه، فيقومون بتحليلها تحليلا منطقيا، يجعلها أكثر دقة وأقل غموض وابعد عن الالتباس [1]. فعلى كل فيلسوف أن يلتزم الدقة في عباراته وفي ألفاظه، إذ أراد أن يسلك سلوك العلماء، ويتجنب ذلك الاعتقاد القائم بأن وسع الفكر الخالص أن يصف الوجود الخارجي، والسبيل الذي يضمن ذلك – حسب التجريبانيين المناطقة – يكون بتحديد المصطلحات تحديدا علميا دقيقا، وبتحديد المشكلات الفلسفية تحليلا منطقيا، لهذا فقط يرتفع كل إشكال، وبذلك يتبين لكل فيلسوف أن الغموض الذي يتخلل المشكلات الفلسفية هو نتيجة استخدام الرموز اللفظية الغامضة، فمهمة الفلسفة منحصرة في التحليل المنطقي للقول العلمي لا في مهمة تأملية تهدف إلى معرفة الحقائق المتخفية وراء الظواهر ولكي يتحقق ذلك حسب وجهة المنطقيين لابد من أمرين:

[1] – يمنى طريف الخولي، فلسفة كارل بوبر– منهج العلم ... منطق العلم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، دط، 1989، ص ص 231– 232.

أولا: هو التخلص من الألفاظ الميتافيزيقية الزائفة التي ازدانت بها الفلسفة منذ مدة طويلة، وتحويل المشكلات الفلسفية إلى مشكلات قابلة للدراسة العلمية.

ثانيا: هو أن يكون المعطى التجريبي هو المصدر الأساسي للمعرفة العلمية، أو بمعنى آخر وكما يقول شليك: " ... إن صدق كل الأحكام أو كذبها ومن ضنها تلك المتعلقة بحقيقة موضوع فيزيائي يمكن اختبارها في المعطى فقط، وبالتالي فإن مدلول كل القضايا يمكن أن يصاغ ويفهم فقط بمساعدة المعطى ". [1] فالقضايا الميتافيزيقية تظل عديمة الجدوى ولا قيمة لها. [2] وهذا ما تؤكده وجهة نظر " فيتجشتين " القائلة بأن الميتافيزيقا خالية من المعنى، وهذا أيضا ما تضمنه مقال نشره " كارناب" عام 1936 بعنوان " استبعاد الميتافيزيقا من خلال التحليل المنطقي للغة " the elimination of metaphysics through logical analysis of language حيث يقول فيه مؤكدا: " إن التحليل المنطقي للميتافيزيقا وضمنها كل فلسفة للقيمة، وكل نظرية معيارية، أفضى إلى نتيجة سلبية مؤداها أن القضايا المزعومة في هذه المجالات تخلو تماما من أي معنى، ومن ثم لا بد من استبعاد الميتافيزيقا استبعادا تاما ". [3] وهنا نشير إلى أن رفض الميتافيزيقا ليس اتجاها جديدا تنتهجه الوضعية المنطقية، فقد وظفها دافيد هيوم من قبل لأنها " سفسطة ووهم sophistry and illusion " كما ذهب كانط إلى استحالة الميتافيزيقا التي تستنبط من مبدأ واحد كما اعتبر أوجيست كونت التفكير الميتافيزيقي لا يمثل إلا مرحلة من مراحل الفكر ينبغي أن يتجاوزها إلى المرحلة الوضعية، كما أراد ماخ أن يزيل كل العناصر الميتافيزيقيا من العلم، لكن رغم هذا الرفض المبكر للميتافيزيقا باعتبارها لا فائدة لها أو فارغة أو أنها لا علمية في الطابع unscientific إلا أن الوضعيين المناطقة أقاموا رفضهم للميتافيزيقا بناءا على ما ذهب إليه فيتجنشتين في " رسالة " على أنها خالية من المعنى meaningless أو أنها مجرد لغو non-

[1] – الشريف زيتوني، مرجع سابق، ص ص 225- 228.

[2] – إمام عبد الفتاح، مدخل إلى الميتافيزيقا، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2005، ص ص 27- 28.

[3] – حسين علي، الميتافيزيقا والعلم، المرجع السابق، ص 67.

sense فهي قضايا ليست صادقة ولا كاذبة بل هي جميعا لا معنى لها، أو كما يصنفها كارناب من بعده آيار هي ليست قضايا مما توصف بالكذب أو الصدق بل هي قضايا زائفة. [1] وبهذا اتفق الوضعيين المناطقة مع سائر التجريبيين على رفض الميتافيزيقا التي تعتبر محاولة إثبات كائنات أبعد من متناول الخبرة الممكنة، ولنفس السبب أقام الوضعيين المناطقة رفضهم للأخلاق المتعالية، أو أي محاولة لإقامة عالم للقيم يعلو على عالم الخبرة الممكنة لأن القضايا التي تتكلم عن القيم تدخل في نطاق الميتافيزيقا المثالية، ومن ثم يجب رفضها. فقد بين الوضعيين المناطقة رفضهم للميتافيزيقا على أن قضياها " لا معنى لها " فلا شك أن معنى أي رمز لغوي يجب أن يكون معنى بينيا أي يفهمه الكاتب والقارئ معا، أو القائل والسامع معا، وعندئذ يتحقق الفهم وتصبح المناقشة ممكنة، هذا الشرط متوفر في التصورات العلمية بحيث هناك اتفاق حول معاني " الذرة " و " الكتلة " و " الإلكترون"... إلخ من هنا كانت المناقشة في ميدان العلم الطبيعي ممكنة. [2] لكن هل هذا الشرط متوفر في التصورات الميتافيزيقية ؟ وهل هناك اتفاق بين الفلاسفة حول تصورات " الوجود " و" الواقع " بحيث متى نطق بها فيلسوف تحقق الفهم نفسه لدى الجميع ؟. فدراسة تاريخ الفلسفة تؤكد عدم وجود اتفاق حول هذه التصورات، من هنا يؤكد الوضعيون المناطقة أن القضايا الميتافيزيقية ليست مفهومة بطريقة بينة بحيث يمكن الحكم بشانها بالقبول أو بالرفض، بالصدق أو بالكذب، بمعنى أن قضايا الميتافيزيقا قضايا خالية من المعنى [3]، ونجد " كارناب" قد مضى قدما بالنظرية القائلة بأن المشكلات الفلسفية هي في الواقع مشكلات في التراكيب اللغوية، وحين تتفادى أغلاط التركيب اللغوي، تحل المشكلة الفلسفية

[1] – ألفريد جولس آيار، من الوضعية المنطقية إلى التحليل الفلسفي، المرجع السابق، ص ص 53- 54.

[2] – ألفريد جولس آيار، الفلسفة في القرن العشرين، تر بهاء درويش، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، 2006، ص ص 11-12.

[3] – المرجع نفسه، ص 13.

أو يتبين استعصاء حلها. [1] من هنا رفض الوضعيين المناطقة كل شكل من اشكال الميتافيزيقا حيث تعني " الميتافيزيقا " هنا أي فلسفة تدعي إمكانية تقرير وجود كائنات تعلو على الطبيعة نصل إليها بطرق قبلية، فكان البناء المعرفي لهم قاصرا على العلوم الصورية كالمنطق والرياضيات والعلوم التجريبية، ومن ثم لا مكان لأي فلسفة تدعي إمكانية تخذي المعارف التي تقدمها هذه العلوم، أو تقديم معرفة أخرى عن العالم خلاف المعرفة التي تقدمها هذه العلوم. هذا التصور في حدود المعرفة البشرية، انتقل إلى الوضعيين المناطقة لتأثير التصور الذي وضعه كل من أرنست ماخ وكارل بيريسون في القرن التاسع عشر للعلم، حيث ذهب إلى أن حدود العلم هي حدود الخبرة أو عالم الظواهر ليس العلم علما بالعلل أو بالمعلولات، وإنما العلل والمعلولات عناصر ميتافيزيقية يجب تخليص العلم منها موضوع العلم هو الظواهر ومهمة العالم اكتشاف العلاقات القائمة بين هذه الظواهر وليس تخطي حدود الظاهرة ولما كانت الميتافيزيقا تحاول تخطي حدود الخبرة، لم يكن من الممكن لها أن تسهم في المعرفة البشرية. [2] ويذهب " كارناب " إلى القول إلى أن القضايا التي لا تنتمي إلى قضايا المنطق والرياضة أو إلى قضايا العلوم التجريبية، هي خلو من كل معنى وقضايا الميتافيزيقا من هذا القبيل وهي نوعان:

أ- قضايا تحتوي على لفظ يعتقد خطأ أن له معنى.

ب- قضايا تحتوي على ألفاظ لها معنى، ولكنها وضعت مع بعضها بطريقة لا تخالف قواعد اللغة، ورغم ذلك ليس لها معنى كقضايا. فمفاهيم الميتافيزيقا في نظر كارناب [*] لا معنى لها، وذلك لعدم وجود معيار تجريبي لها، وإن القضايا الميتافيزيقية فارغة على الرغم من احتوائها

[1] - برترند رسل، تاريخ الفلسفة الغربية (الكتاب الثالث الفلسفة الحديثة)، تر محمد فتحي الشينطي، المصرية العامة للكتاب، دط، 1977، ص 492.

[2] - ألفريد جولس آيار، الفلسفقة في القرن العشرين، المرجع السابق، ص ص 10- 11.

[*] - (1891- 1970)، يعد كارناب من أهم شخصيات الوضعية المنطقية، فهو يعتبر رائدها والمترجم الحقيقي لأهدافها، كما يعتبر زعيمها الذي حافظ على مبادئها، وعلى الرغم من أنه لا يعتبر المؤسس الرئيسي، إلا أنه من أكثر شخصياتها أصالة وإبداع.

ألفاظ ذات دلالة، لأن طريقة تكوينها من الوجهة المنطقية خاطئة، وإصلاح الخطأ يحولها إلى قضايا غير ميتافيزيقية [1].

فالتصور الوضعي هو استمرار على الطريق الذي رسمه فيتجشتين والمتصل في اقتصاد الفلسفة على الخوض في إشكاليات المعنى وتمييزه من الميتافيزيقا والتسليم بأن المتزلقات التي تعج بها اللغة العادية، أدت إلى مفارقات لغوية كبرى لأكبر دليل على قصورها وما تعانيه مفرداتها من غموض ونقص، والتحليل المنطقي وفعاليته هو الطريقة التي تتخذها الفلسفة التجريبية المنطقية لتحقيق هدفها في رفض الميتافيزيقا، فقد اعتمدت التحليل المنطقي للقضايا من ناحيتين التركيب والمعنى، فاستعانت بالمنطق الجديد لتحقيق هذا الغرض بحيث ذهب الوضعيون المنطقيون إلى أن قضايا الميتافيزيقا ليست صادقة ولا كاذبة بل جميعها لا معنى لها لأنه من الخطأ الاعتقاد أن كل فلسفة ميتافيزيقا. [2]

1- توظيف التحليل المنطقي للغة واستبعاد الميتافيزيقا:

لقد كانت مهمة الوضعية المنطقية تقتصر على جعل مهمة الفلسفة تتمثل في التحليل المنطقي للعبارات العلمية، أي البحث عن اليقين المعرفي أصبح فيما تحمل اللغة من معاني، بحيث أرادت الوضعية المنطقية نقل مجال المعرفة إلى نطاق اللغة فنقطة البداية عنده هي اعتبار أن اللغة هي الواقع الملموس للفكر [3]، كما رفضوا الميتافيزيقا والأخلاق وسائر العلوم المعيارية بالقول إنها عبارات خالية من المعنى فمن الضروري أن يتم تحليل العبارات التي تساق فيها قضايا الفلسفة والعلم تحليلا منطقيا وخاصة من ناحية بنية اللغة.

---

[1] – حسين علي، الميتافيزيقا والعلم، المرجع السابق، ص 68.

[2] - بدر الدين مصطفى، زعادة الإمام، الميتافيزيقا، المرجع السابق، ص ص 160- 162.

[3] – الشريف زيتوني، مشروعية الميتافيزيقا من الناحية المنطقية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، دط، 2006، ص ص 228- 229.

فما هو التحليل المنطقي الذي اصطنعه الوضعيون المناطقة منهجا لهم ؟. لقد فهم الوضعيون المناطقة أن عبارات اللغة هادة ما تكون عبارات مركبة، ومن ثم فمن الصعب الحكم عليها على حالتها هذه بالصدق أو الكذب، ولكي يتم الحكم عليها بالصدق أو الكذب، يجب أن ترد إلى أبسط أنواع العبارات حيث تطورا أن أبسط أنوع العبارات التي يمكن أن تقارن بالواقع الخارجين وهذه العبارات هي العبارات الأساسية حيث اختلف فلاسفة الوضعية المنطقية حول طبيعة هذه العبارات الأساسية وهي ما يسموها فيتجشتين القضايا الابتدائية أو القضايا الذرية وهذه العبارات هي ما لا تقبل التحليل إلى أبسط منها. ولقد كان شليك يسمي عبارات " البروتوكول"، ولكنه في بعض الأحيان يفضل تسميتها " قضايا الملاحظة " وكان يتصور هذه العبارات تتضمن يقينا مطلقا ليس موضعا للسؤال من حيث أنها محض تسجيل لوقائع الخبرة.

وقضايا الملاحظة في نظر "شليك " ذات طابع مؤقت، وتنتهي بانتهاء صياغتها والرجوع إلى الملاحظة، فإذا ظهرت لنا معطيات جديدة وأردنا أن نختبرها بالرجوع إلى قضايا الملاحظة الأولى هذه، فهذا إجراء صعب المنال، لأن قضايا الملاحظة الأولى تكون قد فقدت خاصيتها الأساسية كقضايا ملاحظة، ولكن نعتبرها مرة أخرى بالرجوع إلى الخبرة، فلكل شخص ملاحظاته التي يمكن أن تعد أساسا للمعرفة العلمية التي يكونها عن ظواهر العالم الخارجي ووقائعها، وهذه المعرفة يعبر عنها في قضايا نختبرها عن طريق ما نستنبطه منها بعد الرجوع للملاحظة.

أما " نيراث" فيؤسس موقفه على أساس أن القضايا تقارن بقضايا مثلها، لا بالخبرة أو الوقائع أو أي شيء آخر، فالخبرة أو الواقع أمور بلا معنى وتنتمي للميتافيزيقا، وبالتالي لا بد من ربطها. وبهذا فقد رفض نظرة " شليك " هذه لأنه اعتبر أن التعبيرات مثل: " الصدق المطلق " واليقين الذي لا يكون موضعا للسؤال تتضمن عناصر ميتافيزيقية . [1] ورغم هذا الاختلاف إلا

[1] – ألفريد جولس آير، من الوضعية المنطقية إلى التحليل الفلسفي، المرجع السابق، ص ص 57– 58.

أنهم اتفقوا على حصر موضوع الفلسفة في التوضيح المنطقي للافكار بحيث يقول " فيتجشتين ": " إن موضوع الفلسفة هو التوضيح المنطقي للأفكار، فالفلسفة ليست نظرية من النظريات، بل هي فاعلية. ولذا يكون العمل الفلسفي أساسا توضيحات، ولا تكون الفلسفة عددا من القضايا الفلسفية إنما هي توضيح للقضايا... " وعلى هذا الأساس تكون مهمة الفلسفة تحليلا وتوضيحا للأفكار وليس البحث ماهية الأشياء، أي أن الفلسفة نشاط ذهني ينصب على ما عندنا من معارف وليس إيجاد معارف جديدة، والفلسفة من حيث هي تحليل للأفكار فهي ينبغي أن تعنى بالقضايا التي تعبر عن الواقع بهدف تبيين العلاقة التي تربط هذه القضايا من حيث هي الصور نعبر عنها بواسطة عبارات لغوية للواقع الخارجي للتأكد من المطابقة أو عدم المطابقة بينهما، فتحليل اللغة يكشف عن صور رمزية تصور بنية الموضوعات التي تطابقها في الحقيقة. [1] ويمكننا القول أن الطريقة التي اعتمدها الوضعية المنطقية لتحليل اللغة الفلسفية تعود في الأصل إلى ذلك الحقل المعرفي التجريبي واللغوي التي ظهرت فيه فيينا لمحاربة الأنساق المثالية (كانط، شبلنج، هيجل، والفلسفات التي جاءت متأثرة بها). فمن وجهة نظر شليك التحليل المنطقي هو الوسيلة للقضاء على الميتافيزيقا ويعود الفضل في ظهور هذا المنطق وتصوره إلى " فريجة " و " رسل"، و" فيتجشتين" الذين ابتعدوا بأبحاثهم اللغوية على التعجيل في الوصول إلى نقطة التحول الحاسمة في الفلسفة. [2] وإذا تعمقنا في التحليل وجدنا أن السبب فهذا يرجع إلى اختلاف مجال يختص فيه المنطق وآخر تختص فيه الخبرة وذلك يمكننا النظر إلى الفلسفة التحليلية في معالجتها لنظرية المعرفة من زاويتين:

الأولى: وهي التي تتخذ من التحليل اللغوي أسلوبا ومن لغة الحياة اليومية مادة للبحث بحيث نجد فلاسفة هذا الاتجاه يتخذون اللغة التي يتكلم بها الفرد في المجتمع واللغة التي يتحدث بها

[1] – الشريف زيتوني، مشروعية الميتافيزيقا من الناحية المنطقية، المرجع السابق، ص ص 206- 207.

[2] – المرجع نفسه، ص ص 183- 184.

الفلاسفة لتحليلها ومعرفة معاني عباراتها بغية إيجاد حلول لمشكلات التي تعترضها، أما الثانية: فهي التي تتخذ التحليل المنطقي منهجا لها في معالجة اللغة العلمية، لكنها في الموقف نفسه تتوخى بناء لغة اصطناعية تكون عامة أونموذجا للغة العلم.

ونجد في هذا الحقل الكثير من المناطقة والفلاسفة الذين يحاولن تركب هذا النموذج اللغوي للعلم، من هنا اقتصرت مهمة المفلسفة على التمييز بين الغامض والواضح وتحليل العلاقات الخارجية القائمة بين المعاني، حتى نقضي نهائيا على المشكلات الزائفة، والمفاهيم الخاوية والقضايا الكاذبة. وقد حاولت الوضعية المنطقية من خلال تحليلها للغة ربط هذا التحليل بالعلوم، كذلك العلوم الرياضية والمنطقية والعلوم التجريبية. وكانت غايتها توحيد العلم وذلك عن طريق بحث الأسس المنطقية والتجريبية التي تقوم عليها المعرفة العلمية، حيث اندفعت التجريبية المنطقية إلى دراسة النظريات العلمية في الفيزياء والرياضيات العلمية والمنطق غايتها بناء لغة رمزية تكون نموذجا علميا. ففي حقل الرياضيات قام كارناب ببناء لغتين رمزيتين تتضمن الأولى بديهيات حساب القضايا والذاتية وعلم الحساب، وتضمنت الثانية بديهيات أكثر في حساب القضايا والرياضيات وغيرها بحيث أصبحت اللغة الأولى جزءا من اللغة الثانية، أما في حقل العلوم التجريبية فقد اهتمت الوضعية المنطقية بالتحليل المنطقي للفيزياء، بعبارة أدق لغة الفيزياء، كما اهتمت بالطريقة التجريبية الاستقرائية والاحتمالية وبذلك تكون جماعة فيينا قد ضمت في برنامجها الفلسفي الطريقة الاستدلالية والاستقرائية. [1] والذي يميز تجريبية جماعة فيينا هو:

أ- أنها تستعين بتحليل اللغة وعلاقتها بالعالم الخارجي، ولا تقصد هنا لغة الحياة اليومية فحسب، بل اللغات العلمية أيضا، وهذا أمر يجعل هذا الاتجاه التجريبي قريب الصلة بالعلوم التجريبية والنظريات العلمية، وذلك عن طريق إيجاد صيغ مختلفة تربط عالم المعطيات الحسية

[1] - بدر الدين مصطفى، زعادة الإمام، الميتافيزيقا، المرجع السابق، ص ص 157- 158.

بالنظريات العلمية وما تحتويه المفاهيم التجريبية وبذلك تحقق هذه التجريبية هدف الفلسفة والعلم في وحدة العلوم التجريبية.

ب- إنها تستعين بالمنطق والرياضيات دون الأخذ بالرأي القائل إن أساس الرياضيات هو التجربة، بل إنها على العكس ترى أن ليس للمنطق والرياضيات علاقة بالتجربة، ولكن الطريقة الاشتقاقية التي يوفرها المنطق تستطيع أن تساعدنا على بناء المعرفة التجريبية على أسس متينة وواضحة. وذلك عن طريق اختبار بعض المفاهيم الأساسية البسيطة وتعريف المفاهيم المعقدة بواسطتها حتى يتم بناء المعرفة العلمية الحديثة تناقض، بل على العكس يجب اشتقاق النظريات العلمية من قاعدة تجريبية معينة. [1]

وقد اختار الوضعيين المناطقة مصطلح " منطقي " لكي يوضحون أنهم معنيون أساسا بالتحليل المنطقي أكثر من إعلانهم عن أطروحات تدور حول الحقيقة النهائية أو المطلقة، وحسب كارناب فوظيفة التحليل المنطقي هي تحليل كل معرفة، وكل تأكيدات العلم والحياة اليومية. اما مصطلح " الوضعية " فإنه ينسب هذه الحركة إلى المذهب التجريبي التقليدي، والمسألة الرئيسية عند التجريبية التقليدية هي التأكيد على أن كل القضايا الهامة إنما تعتمد نظريا على الإدراك الحسي، الذي يعتبر معيارا للوضوح النظري، كما ينظر التجريب إلى قضايا المنطق والرياضيات بأنها جديرة بالاعتبار. وقد أعلن الوضعيون المناطقة أن كل قضايا النظرية الهامة تعتمد على الإدراك الحسي فيما عدا قضايا تحصيلات الحاصل أي القضايا الرياضيات والمنطق.[2] ولغة العلم كما يفسرها كارناب هي تلك الملائمة نظريا، أعني اللغة التي يمكن أن يقال فيها كل شيء قابل للقول، بحيث يستبعدون من قضاياها اللغو، أي كل ما ليس له معنى. فمهمة التحليل المنطقي للمعرفة تعني الأسس والمبادئ التي تقوم عليها مفاهيم العلوم الواقعية، من هنا اقترح

[1] - المرجع نفسه، ص 159.

[2] - رودولف كارناب، الأسس الفلسفية للفيزياء، تر السيد نفادي، دار الثقافية الجديدة، القاهرة، دط، دت، ص 09.

أعضاء جماعة فيينا مفهوما جديدا لتفسير المعرفة العلمية ألا وهو مفهوم القضايا أو الجمل البروتوكولية. [1]

لقد اعتبرت الوضعية المنطقية أن القضايا الفلسفية قضايا " ميتافيزيقية " غير علمية، بل ترفض كل تأمل فلسفي على أساس أنه لا معنى له، بحيث وقفت هذه الأخيرة موقف المعاداة للميتافيزيقا [2]. إن الأسئلة الفلسفية فيما يقول " فيتجنشتين ": " ليست أسئلة حقيقية بل البتات تشعر بها كمشاكل تختفي بمجرد أن تضح الرؤيا، ومن ثم فإن إحداث تطور في الفلسفة ليس رهنا بإضافة قضايا جديدة إلى قائمتها بل لتغيير المشهد الذهني كلية، الأمر الذي يقضي إلى تقليص الأسئلة التي تستحوذ عليها " ومهما يكن من شيء فإن البحث عن لغة منطقية صارمة تمكننا من الخلاص من أوهام الميتافيزيقا. [3]

من هنا دعونا نعتبر – كمثال- الكلمة الميتافيزيقية " مبدأ " (بمعنى مبدأ للوجود لا بمعنى مبدأ للمعرفة أو اولية منطقية). لقد طرح الميتافيزيقيين إجابة للسؤال المتعلق بهوية أسمى مبادئ العالم (أو الأشياء أو الوجود أو الكينونة)، فهناك من يرى أنه الماء، وهناك من ذهب إلى أنه يتعين في الأرقام، الشكل الحركة، الحياة، الروح، الفكر، النشاط، اللاوعي، الخير، أو ما شابه ذلك. يتوجب علينا – لمعرفة معنى كلمة " مبدأ " في هذا السؤال الميتافيزيقي – أن نسأل الميتافيزيقيين تحت أي شروط تصدق القضية (س هو مبدأ ص) وتحت أي شروط تبطل ؟. لكلمات أخرى ما هو معيار، تطبيق (أو تعريف) كلمة " مبدأ " يجيب الميتافيزيقيين بشكل يقترب مما يلي " س مبدأ ص " تعني " ص تنشا من س ". ووجد ص رهن بوجود س، " وجود س أساس لوجود ص " وما إلى ذلك.

---

[1] – المرجع نفسه، ص 13.

[2] – حنان علي عواضة، موقف الوضعية المعاصرة من الميتافيزيقا (السلب الإيجاب)، مجلة كلية الآداب العدد 97، جامعة بغداد قسم فلسفة، ص ص 486- 487.

[3] – فريدريك وايزمان وآخرون، كيف يرى الوضعيون الفلسفة، تر نجيب الحصادي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلام، دار الآفاق الجديدة، دط، دت، ص 12.

بيد أن هذه الكلمة تعتبر غامضة كما أنها تدعو إلى اللبس، في الغالب تمتلك مثل هذه الكلمات معنى واضحا، ونحن نقول عن شيء أو " عملية " ما إنه " ينشأ من " شيء آخر عندما نلاحظ أن الأشياء من هذا النوع الأخير عادة ما تتبعها أشياء (أو عمليات) من النوع الأول (أي أن هناك علاقة علية قانونية قائمة بينهما). لكن الميتافيزيقي أنه لا يعني مثل هذه العلاقة الامبيريقية من النوع الذي يتضمن علم الطبيعة، في هذا السياق لا يشير التعبير " ينشأ من " إلى علاقة زمنية أو تتابع علي وهذا ما يشير إليه في العادة. [1]

فطالما أنها تفتقد المنهج الذي نستطيع به التحقق منها فإنها تظل خالية من أي معنى من هنا فهي قضايا زائفة. [2]

الميتافيزيقا تفترض بعض الأفكار الأولية والبديهيات واستنتاج قضايا يخيل أنها صحيحة من الوجهة المنطقية، مع أنها ليست كذلك. [3] لهذا ركزت الوضعية المنطقية على مشكلة المعنى وطورت مبدأ التبرير، مما جعلها تستبعد الميتافيزيقا بحيث رفضت مقاييس التفكير الميتافزيقي بالمعرفة، والذي قوامه المعرفة المتغيرة، لا الثابتة التجريبية لا المطلقة، الاستقرائية لا الاستنباطية، الجزئية لا الكلية، المبرهنة لا التأملية، فهي معرفة مرتبطة بعالمنا المادي الواقعي الذي نعيش فيه وفي هذا السياق رفضت الوضعية المنطقية أي قوة أو مضمون يذهب بأبعاده عن الحقائق أو القوانين العلمية وعلى هذا الأساس رفضت العلوم المعيارية (الأخلاق الجمال) بحيث لم يتفق الوضعيين المناطقة فيما يتعلق بعلم الأخلاق بوجه عام إنهم يتفقون في رفض الأخلاق المتعالية أو أي محاولة بإقامة عالم للقيم يعلو عن عالم الخبرة الممكنة وذلك بأن القضايا التي تتكلم عن القيم تدخل في نطاق الميتافيزيقا، ولهذا يجب ربطها كشيء لا معنى له.

---

[1] – فريدريك ويزمان وآخرون، المرجع السابق، ص ص 147- 149.

[2] – نفس المرجع، ص 150.

[3] – حسين علي، الميتافيزيقا والعلم، مرجع سابق، ص 71.

فلو نظرنا إلى العبارات الأخلاقية على أنها تعبير عن " قضايا " لا كان في وسعنا أن نقول أنها لا تعبر عن أي شيء قابل للتحقق تجريبيا، تبعا لذلك علينا أن نقول أنها عبارات ميتافيزيقية خالية من كل معنى. فالأحكام الأخلاقية في رأيهم ليست سوى مجرد تعبير عن بعض الانفعالات والعواطف، فهي مجرد أوامر أو وصايا عامرة بالشحنات الوجدانية أو العاطفية، فأغلب فلاسفة الوضعية المنطقية وبصفة خاصة كارناب وآيار اعتبرو قضايا الأخلاق بدون مضمون تجريبي، حيث ذهبوا إلى أن ما يؤخذ على أنها قضايا الأخلاق ليست في حقيقتها قضايا أو تقريرات على الإطلاق فقولنا " السرقة خطأ "، هذا القول ليس قضية تجريبية إنما قول لا يزيد عن كونه إما تعبيرات عن مشاعرنا اتجاه السرقة، (محاولة لرد الآخرين عن السرقة)، وهو في كلتا الحالتين لا ينقل لنا خبرا جديدا، حسب كارناب ما دامت الأخلاق بعيدة كل البعد على أن تكون أحكاما تجريبية قائمة على الواقع، فإنها عبارات خالية من المعنى، من هنا مثل كارناب غيره من فلاسفة الوضعية المنطقية برفض الأخلاق وسائل العلوم المعيارية. [1]

لا ينكر الوضعيين المنطقيين معيارية القيم الأخلاقية، ولكن إخضاع عباراتها للتحليل اللغوي الذي يعد من التحليل المنطقي يبين خلوها من المعنى فالمنطقيون يهتمون بالقيم الأخلاقية والجمالية من حيث كونها تبحث في مؤثرات أفعال الكائنات البشرية، وتأثيراتها النفسية والاجتماعية. يؤكد التجريبيون المنطقيون أن القيم الأخلاقية كلها عبارات انشائية الأمر الذي يجعلها خارجة عن المنطق المعرفي الذي قبل التحقق تجريبيا وهذا ما أكده كارناب حينما رأى أن العبارات الإنشائية " لا تقول أي شيء ولا يمكن إثباتها أو نفيها "، وآير أيضا حينما رأى أن العبارات التي تحتوي على رموز أخلاقية معيارية ليست مكافئة للعبارات التي تعبر عن قضايا تجريبية من أي نوع. ولما كانت القيم الأخلاقية لا يمكن إثباتها تجريبيا، فهي إذا ذاتية، غير قابلة

[1] – ألفريد جولس آير، من الوضعية المنطقية إلى التحليل الفلسفي، ص ص 54- 56.

للتحقق، وبالتالي فهي لا تعبر عن قضايا صادقة أو كاذبة بقدر ما تعبر عن أحاسيس شخصية.[1] فالعلوم المعيارية كما يرى أنصار الوضعية المنطقية ما هي إلا عبارة وجدانية انفعالية لا تزيد عن ضحكة الضاحك أو صرخة المتألم.[2]

توظيف مبدأ التحقق من المعنى:

رأينا أن فلاسفة الوضعية المنطقية استبعدوا العبارات الميتافيزيقية باعتبارها لا معنى لها كذلك رفضهم للأخلاق في المعنى الذي حاولنا إيضاحه من خلال ما سبق ذكره، كما لا يمكن التحقق تجريبيا كما يؤكد الوضعيون المنطقيون لا معنى له، لما كان عليه وضع مبدأ يعتمدون عليه للتفرقة بين العبارات ذات المعنى والعبارات التي لا معنى لها، وبرى الحدود للمباحث الفلسفية المرفوضة، بحيث يعمل هذا المبدأ كمبرر لرفضهم للميتافيزيقا ويميزهم عمن سبقهم وهو ما يسمى " مبدأ التحقق" فما هو هذا المبدأ ؟

قبل عرض هذا المبدأ يجب أن نلاحظ أن هذا المبدأ يرد عادة إلى الفيلسوف النمساوي " فيتجنشتين " باعتبار أن جماعة فيينا قد نسبت هذا المبدأ له، وكان أول من صاغ هذا المبدأ بوضوح هو " وازيمان " في كتابه " التحليل المنطقي لتصور الإمكانية ". عام 1930، الذي مؤداه أن " معنى القضية مطابق لطريقة التحقق منها " [3].

معيار التحقق هو قاعدة تجسد مبادئ الوضعية المنطقية السابقة، من أن كل حقيقة تركيبية تستمد من الملاحظة، وأن كل ما يسهم به العقل في المعرفة ذو طبيعة تحليلية، فكان مضمونه هو أن الجملة التي ليست بتحليلية لكي تكون ذات معنى، لا بد أن تعبر واقع حسي تجريبي، والجملة التي لا يمكن تحديد صدقها من ملاحظات حسية ممكنة هي جملة خالية من المعنى، حيث أن المعنى هو العلم، واللامعنى هو اللاعلم. فكان أن صاغ ألفريد آير المعيار

[1] – الشريف زيتوني، مشروعية الميتافيزيقا من الناحية المنطقية، المرجع السابق، ص ص 252- 253.

[2] – يمنى طريف الخولي، فلسفة كارل بوبر، ص 294.

[3] – ألفريد جولس آير، من الوضعية المنطقية إلى التحليل الفلسفي، المرجع السابق، ص ص 65- 66.

كالآتي: " يكون للجملة معنى حرفي فقط، إذا كانت تعبر عن قضية تحليلية أو قضية ممكنة التحقق تجريبيا ".

فقد استبعدوا القضايا التحليلية – الرياضة والمنطق – المعيار يطبق فقط على القضايا التركيبية، ليحدد منها العلم الطبيعي، ويستبعد الميتافيزيقا، ودع عنك الأوامر والنواهي وسائر التعبيرات الدالة على قيم معيارية مثل: (ما أجمل الزهور)، (القتل جريمة بشعة)، ومثال هذه التعبيرات عندهم محض إنشائية .[1]

من هنا نجد " شليك " في استخدامه المبكر لهذا المبدأ يوجد هوية بين إمكانية التحقق – ومن ثم المعنى – إمكانية الرد إلى الخبرة فيقول في مقالته " فلسفة جديدة للخبرة " " إن الخبرة هي فقط ما يحدد لنا صدق أو كذب القضايا، فالخبرة هي ما تبرهن على صدق أو كذب القضايا ومن ثم فإن معيار حل المشكلة ما يكمن في إمكانية ردها إلى الخبرة الممكنة " ويقول في مقالته " المعنى والتحقق" أن : " الخبرة هي ما يحدد صدق أو كذب القضايا من حيث أن القضايا ذوات المعنى هي فقط تلك التي يمكن فهمها بالرجوع إلى الخبرة ". هذا التصور الأولي للمبدأ نتجت عنه صعوبات أبرزها ما تعنيه " الخبرة " وهذا التصور الذي انتقل من وضعية القرن التاسع عشر.

رأى شليك أن الخبرة " حالة عقلية ذاتية " وهو ما أوقعه في تناقض، بين هذا القول والقول أن معيار صدق أي قضية هو الرجوع إلى الخبرة، وهذا يعني أن التحقق بالرجوع إلى الخبرة يعني التحقق بالرجوع إلى حالات عقلية أنا وحدي أستطيع أن أخبرها، من هنا فإن تحديد ما إذا كانت قضية ما يمكن التحقق منها أو لا، لا يستطيعه أحد سواه، وهذا يؤدي بنا إلى النتيجة الغريبة: أنا وحدي الذي يعرف معنى القضية وأن المعرفة معرفة ذاتية غير موضوعية. يذهب شليك أن القضايا تركيبات عامة ولكن شليك لم تغب عنه الحقيقة القائلة بأن الشكل

[1] – يمنى طريف الخولي، فلسفة كارل كوبر، المرجع السابق، ص 240.

دون محتوى يكون فارغا، وأنه لابد من محتوى لكي يصبح علما، يحتوي على معرفة حقيقية. فشليك يرى أن كل شخص عليه أن يملأ الإطار بمحتواه الخاص، أي بخبراته الخاصة، فالنتيجة الغريبة التي وصل إليها هي أن المعنى النهائي للقضية العلمية معنى لا يمكن وصفه. [1] ولكن سرعان ما أدرك الوضعيون أن هذا المطلب عسير لأنه لا يؤدي فقط إلى هدم الميتافيزيقا التي جاء هذا المعيار لاستبعادها ولكن أيضا العلم، ذلك أن القوانيني العلمية لا يمكن التحق منها بصورة نهائية، لأنه لا توجد مجموعة نهائية من الخطرات تتحقق لنا من صدق قانون علمي ما وهذه الملاحظة يرجع الفضل فيها إلى كارناب[2].

عندما ننظر إلى المبدأ في حد ذاته نجد بأنه لا قضية تحليلية ولا قضية تركيبية تقبل التحقق، ثم إن القضية قد لا تقبل التحقق لأسباب منطقية أو لأسباب فنية قاصرة على الوقت الرهن، أو لأسباب فيزيائية... إلخ. وقد أكد فيتجنشتين إبان بحثه للمنزلة المنطقية العلمية على أن كثير من العبارات العامة في العلم لا تحاج إلى معاملتها على أنها دالات صدق للقضايا الأولية، لأنها ليست تجريبية وبالتالي ليست قضايا بالمعنى الدقيق، هي بالأصح توصيات بمنهج لتمثيل فئة معينة من الظواهر. [3] يرى كارناب أن – مبدأ القابلية للتحقق — هو بمثابة التفسير أو الإسهام في " إعادة البناء العقلي " الخاص بمفاهيم العلم الميتافيزيقا والمعنى لكي يتم تبيررها على أسس شبه براغماتية، بمعنى أننا إذا كنا لا ننسب المعنى إلا لما يكون قابلا للتحقق، وهذا الحل الذي وصفه كارناب لا يلغي هذه الصعوبة، فليس من الواضح ما هي الطريقة التي يمكن أن يستخدم فيها مبدأ إمكان التحقق ضد الفيلسوف الميتافيزيقي، الذي يجعل نقطة البدء في تفكيره أن قضاياه — هو أيضا — ذات معنى بشكل واضح. فالمسؤولية تقع على الميتافيزيقي في تميزيه لقضايا أخرى أنه يقبل هذه القضايا الأخرى خالية من المعنى، والقول بأن معنى القضية يكافئ

[1] – ألفريد جولس آير، الفلسفة في القرن العشرين، المرجع السابق، ص ص 14- 15.

[2] – ألفريد جولس آير، من الوضعية المنطقية إلى التحليل الفلسفي، المرجع السابق، ص 69.

[3] – يمنى طريف الخولي، فلسفة كارل بوبر، المرجع السابق، ص ص 240- 241.

مجموعة الخبرات أو التجارب التي ينبغي الحصول عليها لكي نعرف أن القضية صادقة وهو ما نعبر عنه بالتحقق التام، الذي يجعل القضية يقينية الصدق. كما سبق أن ذكرنا أن هذا المطلب سيؤدي إلى هدم العلم والميتافيزيقا معا، باعتبار أن القوانين العلمية ليست مما يمكن تحقيقه تحقيقا فعليا، ومن ثم تكون النتيجة استبعاد جميع القوانين العلمية بدعوة أنها خالية من المعنى، ومن هنا اقترح شليك أن نجعل القوانين العلمية قواعد تسمح بالاستدلال من عبارة مفردة إلى مفردة أخرى، قوانين العلمية إذا ليست قضايا ولا يقال عنها أنها ذات معنى أو خالية من المعنى، ومن هنا لن تواجهنا صعوبة استبعادها هي فقط. [1]

يرى " نيراث" أن كل جملة جديدة تظهر أمامنا ينبغي أن يتم التحقق من صدقها بمقارنتها بسائر نسق العلم، بحيث متى ما جاءت هذه الجملة متعارضة مع النسق، كان أمامنا إما أن نرفضها كجملة كاذبة، أو غير قابلة للانطباق، أو نقبلها ونقول بتعديل النسق بحيث تأتي هاته الجملة متسقة معه، ويصبح النسق متسقا اتساقا ذاتيا مع نفسه بعد إدراج هذه الجملة فيه. إلا أن كارناب جاء ليعدل رأي كل من شليك وأوتونيراث، أو ليوفق بينهما التحقق من القضايا لا يعني من " صدقها " فلا يوجد – بالنسبة لقضايا العلم – لما يسمى بصدقها أو كذبها، فذلك أمر لا يمكن تحديده، فقضايا العلم قضايا يتم " تدعيمها " أو " تفنيدها " بدرجات، وذلك بعد اختبارها اختبارا علميا، القضايا منها لا يقبل الاختبار بصورة مباشرة ومنها ما يقبل الاختبار بصورة غير مباشرة تلك هي محض تسجيل لملاحظات، ومن ثم فهي قضايا تم تدعيمها بصورة قوية strongly confirmed ومن ثم قبولها، أو تفنيدها بصورة قوية strongly disconfirmed ومن ثم رفضها. [2]

[1] – ألفريد جولس آير، من الوضعية المنطقية إلى التحليل الفلسفي، المرجع السابق، ص ص 70- 71.

[2] – ألفريد جولس آير، فلسفة القرن العشرين، المرجع الساق، ص 16.

يعرف كارناب التحقق الغير مباشر بأنه اعتبار القضية متحققة تجريبيا إذ أمكن استنباطها مباشرة من قضايا متحققة بالفعل، مثل " هنا المفتاح مصنوع من الحديد " هي قضية متحققة، وذلك لتطابقها مع القانون المتحقق بالفعل إذا قربنا قطعة الحديد من قطعة مغناطيس فإنها تنجذب إليها، " ومن ثم تستنبط القضية " هنا المفتاح ينجذب بالمغناطيس، وهكذا لم يعد إمكان التحقق يساوي القول " معرفة الصدق " فهذا المعنى قد تم إنقاذه إلى التعبير أضعف منه، إن القضية لا يكون لها معنى إلا إذا كان من الممكن تأييدها، و لم يعد من الغريب إذا أن يحل كارناب في كتابه " القابلية للاختبار والمعنى " مصطلح أو إمكان التأييد بدلا من التحقق [1]، وإذا كان كارناب بتمييزه على هذا النحو بين التدعيم المباشر والغير مباشر، قد تحول عن مطلب إيجاد هوية بين المعنى وإمكانية الترجمة إلى الخبرة، فقد ظل مع هذا يجد صعوبات خاصة بـــ " المعنى " و " التدعيم " وهي الصعوبات التي أدت محاولاته لحلها إلى ابتعاده عن فكر الوضعية المنطقية [2].

من هنا التحقق في غير القضايا التحليلية يقصد إلى ربط القضايا بالواقع لاختبار صحتها وهذا الواقع لا يقتصر على ما هو موجود في الحاضر لكنه يمتد إلى المستقبل كذلك من القضايا ما تكفي مجرد الإشارة إلى اختبار معانيها ومنها ما يقتضي اختباره تحليله إلى قضايا ابسط فأبسط حتى تبلغ المرحلة التي ترى فيها في القضية أصلا من الواقع عندئذ تخضع لمبدأ التحقق ولو كان هذا على سبيل الإمكان المحض.

هذا هو المحك الذي اتخذته الوضعية المنطقية مقياسا لاختبار العبارات لمعرفة مضمونها، وبه أبقت على قضايا العلوم الطبيعية، أو سلمت بقضايا الرياضية والمنطق، باعتبارها تحصيل حاصل، واستبعدت قضايا الميتافيزيقا والعوم المعيارية من مجال البحث. [3] وإذا كان الواقع

---

[1] – ألفريد جولس آير، من الوضعية المنطقية إلى التحليل الفلسفي، المرجع السابق، ص 72.

[2] – ألفريد جولس آير، الفلسفة في القرن العشرين، المرجع السابق، ص 18.

[3] – فاروق عبد المعطي، نصوص ومصطلحات فلسفية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993، ص 426.

والخبرة الحسية والتحقق الذي يقوم به الباحث كل ذلك يساهم في تميز العلم، فإن الاستقراء دورا فعالا ويشكل آلية هامة لإقرار هذا التمييز، فهو ينطلق من الملاحظة الحسية للقضايا الجزئية بعد التحقق من صدقها، ينتقل إلى صياغة القانون العام، وكل ملاحظة جديدة متفقة مع هذا القانون تعمل على تأييده وتكريس قيمته في الميدان العلمي، أما الاستنباط فإنه لا يقدم الجديد ولا ينسجم مع قناعة أنصار الوضعية المنطقية، لأن نقطة البدء في منهج الاستنباط هي النظر وليس الواقع يقول هانز ريشنباخ حول هذه القضية: " فلما كان الاستدلال من النظرية على الوقائع الملاحظة يتم عادة بوسائل رياضية، فقد اعتقد بعض الفلاسفة أن من الممكن تفسير وضع النظريات من خلال المنطق الاستنباطي غير أن هذا رأي لا يمكن قبوله، إذ أن الأساس الذي نتوقف عليه قبول النظرية ليس الاستدلال من النظرية على الوقائع، وإنما هو العكس أي الاستدلال من الوقائع على النظرية، وهذا الاستدلال ليس استنباطيا بل هو استقرائي. فما هو معطى هو وقائع الملاحظة، وهذه هي التي تكون المعرفة التي ينبغي تحقيق النظر على أساسها ". فمركزات معيار التحقق من قضية قابلة للاختبار والحكم عليها بالصدق أو عدمه يؤكد شليك ضرورة ملاحظة الحالات الفردية، لأنها انطلاقا من تلك " الملاحظة " تقرر خبرة الباحث صدق القضية أو كذبها. [1] يقول: " إنه حتى نفهم قضية ما ينبغي أن نكون قادرين على أن نشير بدقة للحالات الفردية التي تجعل القضية صادقة، وكذلك الحالات التي تجعلها كاذبة وهذه الحالات هي وقائع الخبرة. فالخبرة هي التي تقرر صدق القضايا أو كذبها ". إذا الإثبات النهائي للقضية العلمية عند شليك يكون بتوافقها مع الواقع والملاحظة الحسية، ولكن هذا الإثبات الحاسم بصدق القضية أو كذبها عند شليك لا يأخذ به كل من ريشنباخ وكارناب، إنهما يتفقان مع

[1] – ماهر اختيار، إشكالية معيار قابلية التكذيب عند كارل بوبر (في النظرية والتطبيق)، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، دط، 2010، ص 64.

شليك على الخبرة الحسية وضرورة الانطلاق من الملاحظة، إلا أن تطابق القضية مع الوقع يعطي نتائج احتمالية لا يقينية. [1]

وحدة العلم: هيمن الأهداف الرئيسية للوضعية المنطقية والذي يعكس تصورها للعلم ويأتي متسقا مع مبدأ التحقق من المعنى وقد اهتم كارناب بتوضيح هذه الفكرة بشكل تفصيلي، وإن كان نيراث قد سبقه إليها أسماه أطروحة الرد الفيزيائي، التي أيدها شليك وطورها ألفريد جولس آير إلى وحدة العلم والفلسفة، وحدة العلم لدى هؤلاء تعني التعبير عن سائر قضايا علوم النفس والحياة، والعلوم الاجتماعية في لغة علم الفيزياء [*] هو الاساس الذي ترد إليه هذه العلوم الأخرى ولما كان هذا ممكنا فهو يعني عند نيراث كما يقول باسمور " أن سائر العلوم هي علوم طبيعية ولهذا فهي تشكل وحدة ". [2] ولقد تاثر الوضعيين في هذه الفكرة بأرنست ماخ وخاصة عن طريق رفض النظرة القائلة بأن علم النفس إنما يتناول عالما باطنيا يختلف عن العالم الخارجي الذي يتناوله العلم الفيزيائي فهم يقبلون بالمبدأ القائل: الفيزياء وعلم النفس إنما يصف خبرات واحدة ما يجعل هذا التوحيد أمرا ممكنا، فاصطناع " التحليل المنطقي " منهجا هو ما انتهى بالوضعيين المناطقة إلى العلم الموحد، ومعناه أنه لا وجود لعلوم مختلفة ذات مناهج متباينة، ولا وجود لمصادر متعددة بالمعرفة بل هناك علم واحد فقط. [3] ومعتقد وحدة العلم عند الوضعية المنطقية له جانبان:

الأول أن جميع العلوم التجريبية مثل الفيزياء، الكيمياء، والأحياء وعلم النفس، إنما تشترك بمفرادات واحدة، بحيث لغة الفيزياء مثلا تكافئ مفردات لغة البروتوكول الفيزيائية، ولكنها لا تتماثل مع لغة الفيزياء الجارية، لأن الفيزياء يمكن أن تتعدل فنظرية الكم التي تعد الآن "

[1] – المرجع السابق، ص ص 65- 66.

[*]– تعني كما يقول كارناب: ميدان الموضوعات الغير الحيوية، ومن ثم فهي تشمل الكيمياء والفلك والجيولوجيا وعلم المعادن.

[2] – ألفريد جولس آير، فلسفة القرن العشرين، المرجع السابق، ص 18.

[3] – ألفريد جولس آير، من الوضعية المنطقية إلى التحليل الفلسفي، المرجع السابق، ص ص 63- 64.

احتمالية " يمكن أن تصبح " حتمية "، بينما تظل لغة البروتوكول الفلسفية تحتفظ بالمضمون الواحد للمفردات العلمية الأساسية. ويعلن الجانب الثاني من برنامج وحدة العلم أنكل القوانين التي نجدها في جميع العلوم التجريبية، إنما يمكن اشتقاقها فرضا من القوانين الفيزيائية، ولكن يظل هذا أملا افتراضيا كما يقول كارناب يتحدد صدقه أو كذبه، بأن ننظر حتى نرى كيف تتطور العلوم في الواقع [1] ويحاول كارناب في بيان لغة لعلم بيان كيف ما اسماه " لغة الشيء" – أي القدر من اللغة المشترك بين لغة الحياة اليومية واللغة الفيزيائية – التي تشمل الحدود التي نصف بها المحمولات القابلة للملاحظة مثل " حار"، " بارد"، تمثل الأساس الذي يمكن رد لغة العلم إليه في كلتيها " لغة علم الفيزياء، والأحياء، وعلم النفس" هذه الحدود التي نصف بها المحمولات القابلة للملاحظة يسميها كارناب محمولات الشيء القابلة للملاحظة بالإضافة إلى هذه الحدود هناك حدود تعبر عن ميل الشيء بسلوك معين في حالات معينة مثل " مرن" " قابل للذوبان "، " شفاف "، " قابل للكسر"، هذه الحدود الأخيرة قابلة للرد إلى محمولات الشيء القابلة للملاحظة. ذلك لأنها بإمكاننا وصف الشروط التجريبية وردود الأفعال المميزة لهذه الحدود لمحمولات الشيء القابلة للملاحظة.[2] تسلسل الأفكار فكرة نستنتجها من فكرة، ويتحدد موضع كل فكرة بناءا على الطريقة التي يتم بها استنتاجها من أفكار أخرى إلى أن تنتهي إلى الفكرة الآتية من المعطى الحسي كنهاية للتسلسل.

فالنظرية الخاصة بإقامة نسق واحد لجميع الأفكار العلمية، على أساس واحد مشترك توضح علاوة على ذلك – بطريقة مقارنة – أن كل عبارة من عبارات العلم يمكن ترجمتها إلى عبارة تتحدث عما يقع في الخبرة " الوضعية المنهجية ".

[1] – رودولف كارناب، الأسس الفلسفية للفيزياء، المرجع السابق، ص 13.

[2] – ألفريد جولس آير، الفلسفة في القرن العشرين، المرجع السابق، ص ص 24- 25.

وهناك نسق تركيبي آخر يحتوي بالمثل على جميع الأفكار التي تكون الأفكار الطبيعية أساسا لها، أي تلك الأفكار التي تتعلق بالحادثات الموجودة في زمان لا مكان. كما تريد الأفكار الخاصة بعلم النفس العلوم الاجتماعية إلى أفكار طبيعية بناءا على مبدأ السلوكية " المنهجية المادية ".

ينتج من هذين النسقين التركيبيين الوضعي والمادي لا يتناقضان، فكل منهما صحيح ولا غنى عنه. فالنسق الوضعي يقابل وجهة النظر المعرفية، لأنه يبرهن على صدق المعرفة بردها إلى ما يقع في الخبرة والنسق المادي يقابل وجهة نظر العلوم التجريبية لأن جميع الأفكار في هذا النسق ترد إلى ما هو طبيعي. أي إلى الميدان الوحيد الذي يعرض القاعدة الكاملة الخاصة بفكرة القانون العلمي، والذي يجعل من المعرفة الذاتية أمرا ممكنا. [1]

كانت هذه أهم المبادئ التي اعتمدها الوضعية المنطقية لتبرير رفضها لفلسفة والميتافيزيقا، بحيث ذاق الوضعيون المناطقة ذرعا بعقم المشاهدة الميتافيزيقية، التي بقيت ثلاث وعشرين قرنا، حيث خلفها أرسطو. بينما تحقق المباحث التجريبية تقدما متصلا لا ينقطع أبدا، فمن ذا الذي يزعم أن ميتافيزيقا القرن العشرين أدنى إلى الصواب قيد أنملة من ميتافيزيقا أرسطو، فما هو هذا الصواب ؟ وهل من خبرة عساها أن تخبرنا به ؟. فالوضعية على العموم والمنطقية على أخص الخصوص هي فلسفة قامت لكي تقوض دعائم الميتافيزيقا، وتزيحها تماما عن عالم ينبغي أن ينفرد به العلم وحده.

ولما كان مبدأهم الأساسي هو أن أية قضية واضحة ومفهومة، لابد أن تقوم على أساس الخبرة، فقد انزاحت العقبة الرياضية حيث اتضح أنها مجرد إثبات للهوية لا تخبر بشيء جديد، فبفضل جهود راسل وفيتجشنيتن أمكن للتجريب، وهو هنا الوضعي المنطقي أن يحتفظ تماما بمبدأه، وعليه فقط أن يضيف إليه: " لم تكن إثبات للهوية " فيصبح أي قضية واضحة ومفهومة

[1] – ألفريد جولس آير، من الوضعية المنطقية إلى التحليل الفلسفي، المرجع السابق، ص ص 64- 65.

لا بد أن تقوم على أساس الخبرة، ما لم تكن إثباتا للهوية، وطالما أنه لا يوجد ميتافيزيقي واحد قد اعد نفسه ليعترف بان قضاياه لا تخبر بشيء عن العالم، أي ليست مجرد إثبات للهوية، وهي بالطبع ليست قائمة على أساس الخبرة الحسية، وبهذا فالقضايا الميتافيزيقية غير واضحة ولا مفهومة، لأنها ليست لها معنى ولا حتى مغزى نفهمه منها لكي نحكم عليها بالصدق أو الكذب، إنها لا ترقى حتى مرتبة الكذب !! فهي تدعي فعل ما لا يمكن أن يفعل فهي تناقض نفسها، فليس من الجائز أن نلقي في إحدى صفحات كتاب يؤرخ للميتافيزيقا قضية، تزعم أن الحقيقة هي المطلق، وفي صفحة أخرى الحقيقة ليست المطلقة. وكل من القضيتين مصحوبة بأدلة تبدو دامغة، ولما كان الفصل بينهما مستحيلا أوجبت الأمانة العلمية على المؤرخ تقرير القضية ونقيضها، وما هكذا يكون تقرير الكلام ذي المعنى.[1]

لقد كانت الفلسفة خلال تاريخها كله تتألف من جزأين امتزجا امتزاجا مجازا من جانب نظرية تنصب على طبيعة العالم، ومن جانب آخر نظرية أخلاقة أو سياسية تنصب على أفضل طريقة للحياة، والفشل، بحيث الفصل بين هذين الجزأين بوضوح كاف، كان مصدر لتفكير مشوش إلى درجة كبيرة، لقد سمح الفلاسفة من أفلاطون إلى وليام جيمس لآرائهم عن تكوين العالم أن تأثر بالرغبة في التشييد، فلما زعموا أنهم يعرفون أية معتقدات تجعل الناس فضلاء، فقد اخترعوا حججا بالغة السفسطة في معظم الأحيان، لكي يثبتوا صدق هذه المعتقدات، فمن الناحية الأخلاقية يكون الفيلسوف الذي يستخدم تخصصه المهني في أي شيء خلاف البحث المتزه عن الحقيقة مذنبا في نوع من الغش، وحيث يزعم قبل أي تحقيق أن بعض الاعتقادات سواء كانت صادقة أو كاذبة صالحة للتطوير السلوك الحسن، هو بهذا يضيق نطاق التأمل الفلسفي أي يجعل الفلسفة تافهة، ومن الناحية العقلية كان تأثير العبارات الأخلاقية الباطلة على الفلسفة في كونها تعيق التقدم إلى مدى بعيد، فمنذ عصر أفلاطون اعتبروا معظم الفلاسفة جزءا

[1] – يمنى طريف الخولي، فلسفة كار بوبر، المرجع السابق، ص ص 237– 238.

من عملهم يضع " أدلة " على الخلود وعلى وجود الله، وهذا ما نبذه أنصار الوضعية المنطقية، بحيث يجعل التحليل المنطقي هو عملهم الرئيسي في الفلسفة، وهم يعترفون صراحة أن العقل البشري غير قادر على إيجاد إجابات مثمرة للكثير من المسائل التي لها أهمية عميقة الجنس البشري.[1]

فقد انتهى فيتجنشتين في كتاب " الرسالة " إلى أن مهمة الفلسفة هي توضيح الأفكار ومبادئ العلوم من دون أن يكون لها الحق في بناء الأفكار والمبادئ العلمية، وبهذا حصر فيتجنشتين مهمة الفلسفة في دائرة ضيقة جدان واكتفى بتحديدها في التوضيح والتحليل من دون أن يكون لها واجب إضافة إلى أي معرفة جديدة، فشرع كارناب في بيان المهمة التي لا تزال الفلسفة تضطلع بها، مؤكدا على أن هذه المهمة ليست بالتأكيد الميتافيزيقا، ولا العلوم الطبيعية، ولا المنطق الرياضي، وإنما مهمة الفلسفة هي تحديد مختصر على نمط الذرية المنطقية، ولكنه يختلف عنها من ناحيتين: الأولى هي أن الذريين يرون في التحليل أن التزود بلغة " واضحة " تكافئ قضايا اللغة العادية بشرط أن يكون معناها وصدقها خاضعين للفهم من قبل الحس المشترك، وكان يعتقد أن المرادفات لهذه اللغة " الموضحة " أرفع منزلة، لأنها تصور الوقائع بشكل أكثر ملائمة. فإذا اختزلت إلى المستوى الذري النهائي لا كانت صورا مثالية للوقائع، في حين رأى كارناب، ومعه بقية حلقة فيينا أن هذه الطريقة للوصف وتبرير التحليل فتتسق ووجهة نظر الوضعية المنطقية، إذ أن القضايا تتحدث عن علاقة اللغة بالواقعة التي كان يعتقد أنها لا تخضع للإثبات أو التحقق. والثانية هي أن الذريين يرون أن القضايا التي تنتمي إلى المنطق الصوري، لا يكون لها معنى " معرفيا " في حين يرى الوضعيين المناطقة أن للفلسفة معنى " معرفي " فالقضايا الفلسفية تحدث عن العلاقات المنطقية (السيمانطيقية) وخواص التعبيرات

[1] – برتراند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية (الكتاب الثالث الفسفة الحديثة)، تر محمد فتحي الشينطي، المصرية العامة للكتاب، دط، 1977، ص ص 497- 499.

اللغوية ومن ثم تتماثل الفلسفة مع المنطقية (السيمانطيقا)، بحيث يتسع هذا لمنطق وبشكل مناسب لتغطية سيمانطيقا لغة العوم الواقعية، بالإضافة إلى السيمانطيقا الرياضيات وبهذه الطريقة يمكن للفلسفة أن تكون أكثر من مجرد منطق لرياضيات، وفي نفس الوقت تظل الفلسفة مغايرة تماما للعلوم الواقعية، لأن العلوم الواقعية إنما هي بحث في الطبيعة، بينما الفلسفة بحث منطقي في لغة العلوم الواقعية. [1] وبهذا أكدت الوضعية المنطقية على أن منهج الفلسفة هو التحليل المنطقي[2].

فقد أراد الوضعيين المنطقيين من هذا كله تحليل الكيف إلى الكم والروح إلى المادة محاولين بذلك العمل على احتذاء العلوم الإنسانية بالعلوم الطبيعية، وبذلك لا يصبح هناك تساوي بين مفهوم " الموضوعية " في كل من العلوم الإنسانية والطبيعية، فقد رأى أرنست ماخ بضرورة بناء منهجي واحد يعتمد على الإحساسات وحدها، ويكون صالحا بأن يشتق منه كل بحث علمي سواء كان هذا البحث في ميدان الفيزياء أو الأنتروبولوجية أو علم النفس... إلخ. في حين حاول كارناب أسلوب اختزالي تارك العلوم الإنسانية وفقه إلى أصولها الفيزيائية، وعلى هذا الأساس ذهب فيجل إلى أن علم النفس يمكن رده إلى الفيزياء، كما يمكن رد علم الاجتماع إلى علم النفس، وهكذا نفس الشيء لبقية العلوم. أما ليندبرج فلقد زعم أن ما نسميه بالإرادة والعواطف والرغبات والمشاعر وكل ما هو حسي ليست أكثر من " زوائد" لا معنى لها. بحيث يؤكد أنصار الوضعية المنطقية على أن الموضوعية في العلوم الإنسانية يمكن أن تتحقق تلقائيا متى اتخذت هذه العلوم أساليب ومنهج العلوم الطبيعية بكل دقة وإتقان، وهذا يعني أن احتذاء علوم الإنسان لعلوم الطبيعة يؤدي في نظرهم إلى تحقيق الموضوعية المنشودة في العلوم

[1] – رودولف كارناب، الأسس الفلسفية لفيزياء، المرجع السابق، ص ص 11- 12.

[2] – أحمد حنفي وآخرون، قضايا العلوم الإنسانية (إشكالية المنهج)، تقديم يوسف زيدان، الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، دط، دت، ص 51.

الإنسانية. [1] فالحواس كما يؤكد الوضعيون المناطقة هي المصدر الرئيسي للمعرفة. [2] وباختصار كل القضايا التي تعلن وجود معرفة حول شيء ما يعلو أو يتعدى كل خبرة كالجوهر الحقيق للأشياء، والأشياء في ذاتها والمطلق، وما شابه ذلك، يقول " كارناب " ومن وجهة نظر إمكانية التحقق، من السهل أن ندرك أن مثل هذه القضايا لا يمكن التحقق منها... لأننا لا نستطيع أن نستنبط أية قضية تقرر أية إدراكات حسية أو إحساسات أو خبرات... ومن ثم فهي لا تقرر شيئا على الإطلاق. ويذهب إلى أن الميتافيزيقيون يعتمدون إلى جعل قضاياهم غير ممكنة التحقق، إذ أنهم لو جعلوها ممكنة التحقق لا كان الحكم على صدق أو كذب دعواهم معتمدا على التجربة، ومن ثم فلا بد أن تدخل في نطاق العلوم الامبريقية. وهم يتحاشون هذه النتيجة لأنهم يدعون أنهم يلقنون المعرفة التي تعلو على مستوى العلوم الامبريقية، فيضطرون إلى قطع كل الصلات التي تربط بين قضاياهم وبين محك التجريبي، وتصبح هذه المعرفة خالية من أي معنى.

وبهذا المعنى تكون الميتافيزيقا نظاما فارغا من المعنى والمشكلات التي تتعرض لها مشكلات زائفة، والحلول التي تقترحها لهذه المشكلات غير ممكنة الصدق أو الكذب، ومن ثم فهي بلا قيمة من الناحية المعرفية. [3]

وفي الأنفاق الفلسفية يعتقد أن ثمة شيء ما يقف خلف العالم الإمبريقي، حيث تشير " خلف " إلى ما لا يمكننا معرفته لنفس المعنى الذي نعرفه العالم الامبريقي، وذلك لأنه يقع وراء الحد الذي يفرق بين ما هو سهل الوصول إليه وما هو الوصول إليه.

---

[1] – أحمد حنفي وآخرون، المرجع السابق، ص ص 53.

[2] – المرجع نفسه، ص 50.

[3] – السيد نفادي، معيار الصدق والمعنى في العلوم الطبيعية والإنسانية (مبدأ التحقيق عند الوضعية المنطقية)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دط، 1991، ص ص 24- 25.

يرى شليك أن لهذا التمييز مصدره الذي قال فيه معظم الفلاسفة السابقين، فلكي نعرف موضوعا علينا أن ندركه إدراكا حسيا مباشرا، والمعرفة إنما هي نوع من الحدث، لا تكون تامة إلى عندما يحضر الموضوع بشكل مباشر للعارف بوصفه إحساسا أو شعورا. ومن ثم طبقا لوجهة النظر هذه ما لا يمكن اختباره أو إدراكه حسيا يظل مجهولان لا يمكن فهمه، وهو متعالي لأنه ينتمي إلى مجال الأشياء في ذاتها. وعلى العكس من هذا المفهوم للعالم الخارجي الترنسندنتالي، والذي لا يمكن معرفته يؤكد الوضعين المنطقين على أن مفهوم هذا " العالم " بلا معنى لأنه لا يمكن التحقق منه.[1] يؤكد كارناب أن الميتافيزيقا كلها أقوال فارغة من المعنى، لكنها مع ذلك يمكن النظر إليها على أنها تعبير عن الإحساس بالحياة عند هؤلاء الأفراد الذين أقاموا المذاهب الميتافيزيقية، فهو يذهب إلى أن الفن (وخاصة الموسيقى) وسيلة مناسبة للتعبير عن الإحساس بالحياة، أما الميتافيزيقا فهي وسيلة قاصرة عاجزة عن القيام بذلك، فالميتافيزيقيون – فيما يقول – موسيقيون بلا موهبة موسيقية.[2]

ومن هذا المنطلق رفضت الوضعية المنطقية كل من الميتافيزيقا والفلسفة بحيث اعتبرت أن الميتافيزيقا خالية من المعنى محاولة هدم وإنهاء المغامرة الميتافيزيقية التي استمرت وقتا طويلا بين أحضان الفلسفة وجعلت مهمة الفلسفة تقتصر على التحليل المنطقي، واعتبرت الإشكاليات والتساؤلات القديمة التي رنت على صدق صدر المعرفة البشرية وظللتها ستظهر حقيقتها بعد أن تخضع لمبدأ التوضيح والتحليل، وسيظهر أنه لا وجود للملكة من الأفكار فوق الخبرة الحسية.

[1] – السيد نفادي، المرجع السابق، ص ص 26- 27.

[2] – محمود رجب، الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين، دار المعارف، ط2، 1986، ص ص 240- 241.

الفصل الثالث

مراجعات وانتقادات إبستيمولوجية

- المبحث الأول: نقد كارل بوبر للوضعية المنطقية
- المبحث الثاني: المنزلة الإبستيمولوجية لجدلية العلاقة بين العلم والإيديولوجيا

المبحث الأول : نقد كارل بوبر للوضعية المنطقية.

وبتأكيد على إيديولوجية الوضعية المنطقية قد نقبل ونسلم مع الوضعيين المناطقة رفضهم للميتافيزيقا، وخاصة الاتهامات التي وجهت إليها، بأنها سبب أساسي في تعطيل تقدم وتطور العلم، أي أنها السبب في تأخره، لكن أن يقصى تاريخ الفلسفة ومشكلاته بجرة قلم واحدة فهذا لا يجوز، فنحن نعلم أن فلاسفة اليونان كانوا ميتافيزيقيين وعلماء في آن واحد، فلا توجد نظرية فلسفية إلا وتأثرت بالكشف العلمي، فكل ما آل إليه أصحاب الوضعية المنطقية أنهم جعلوا من كل ما تم إنجازه في الماضي موضوع شك واتهام، حيث قللوا من قيمة الفلسفة، كما زعموا أن كل القضايا الميتافيزيقية خالية من المعنى ولا أساس لها من الصحة، حيث سحبوا من الفلسفة صلاحية الاكتشافات العلمية، وجعلوها من مهمة العلم وحده من هنا يمكننا، أن تختبر مدى قدرة صمود الوضعية المنطقية أمام الانتقادات التي وجهها لها كارل بوبر؟.

يرى بوبر* بأن الوضعية المنطقية لم تأت بالجديد كما ظنت، وظنت معها التحليلية عموما، فالمشكلات التي أثارتها الوضعية المنطقية قديمة، فإدعائهم أن المشاكل الفلسفية زائفة، وحول إذا كانت الفلسفة توجد أولها الحق في آن توجد أم لا، قديمة قدم الفلسفة ذاتها، فمررا وتكرارا تقوم حركة فلسفية "جديدة تماما" تدعي أنها ستتمكن "أخيرا" من كشف النقاب عن المشاكل الفلسفية لتدو عن حقيقتها من أنها مشاكل زائفة، وأنها ستواجه اللغو الفلسفي الخبيث بأحاديث العلم التجريبيي الوضعي[1]، فمع بداية النصف الثاني من القرن العشرين اتضح قصور مبدأ التحقق الذي تم على أساسه استبعاد الميتافيزيقا إذ وجهت له انتقادات كثيرة سواء داخل الاتجاه التجريبي أو خارجه، وعلى الرغم من ذلك استعادت الميتافيزيقا بعض من مكانتها بين المباحث النظرية وتم قبولها من جديد باعتبار أن قضياها ذات معنى، وينظر إليها البعض في أحسن الأحوال (رغم

* – ولد كار ل بوير يفيينا 1902، من أبوين ينحدران من أصول يهودية، انخرط في جمعية مدرسة الطلبة الاشتراكيين الشيوعيين لكنه غادرها بعد شهور قليلة نشر كتابه **الذي حقق له شهرة كبيرة وهو منطق الكشف العلمي بإشراف كارل بوهلر 1934

[1] – يمنى طريف الخولي، فلسفة كارل بوير (منهج العلم –منطق العلم)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1989، ص: 255.

التناقض الواضح)على لا تستند إلى دليل تجريبي ولا يمكن دحضها تجريبيا، فمحاولة الوضعية المنطقية صياغة مبدأ التحقق للفصل بين القضايا العلمية والميتافيزيقية لم تكن ناجحة، وهذا لعدم وجود حدود فاصلة على نحو قاطع بين هذه القضايا، خاصة إذا علمنا أن "الفرض " hypothesis بوصفه قضية قد لا يستطيع العلم بوسائله المتوافرة أن يتحقق عن صحته أو بطلانه، ولكن "الفرض" في الوقت ذاته يمكن أن يقدم فائدة كبيرة لتطور العلم دون اعتباره ميتافيزيقا، وقد يكون للوضعيين بعض الحق في رفض التأملات الميتافيزيقية —خاصة بمعناها التقليدي- لكن فاتهم أن البحث العلم ذاته يمضى في طريقة على أساس فروض مسبقة معينة[1]، صحيح أن الميتافيزيقا في نظر كارل بوبر ليست علما، لكن هذا لا يعني أنها بلا معنى، وإنما على عكس ذلك تجد أن الميتافيزيقا قد تقدم إسهاما معينا للعلم بحيث نجده يقول في هذا الصدد: "أنه من الحقائق المسلم بها أن الأفكار الميتافيزيقية البحتة —ومن ثم الأفكار الفلسفية- ذات أهمية للكوزمولوجيا، من طاليس إلى أينشتاين، ومن الذرية القديمة إلى التأملات ديكارت عن المادة، ومن التأملات جلبرت ونيوتن ولبيتز وبسوفيك عن القوى إلى تأملات فرادي وأينشتاين عن مجالات القوى أضاءت الأفكار الميتافيزيقية معالم الطريق".

فكان الآراء والأفكار الميتافيزيقية تساهم أحيانا في انطلاق الأفكار العلمية وبصورة أصلية[2]، فالوضعية المنطقية في نظر بوبر ماهية إلا مدرسة هدامة في تاريخ الفلسفة. لقد انتقد بوبر كل من فيجنشتين وكارناب في " استبعاد الميتافزييقا " عن طريق تحليلا معنى اللغة... وهو لا يوم بهذا النقد- كما يقول- " باسم الميتافيزيقا- وإنما باسم العلم، لأن تحديدهما " للمعنى " يستبعد أيضا النظريات العلمية بوصفها فارغة من المعنى. لقد كان الرأي الشائع أن العلم يتميز بأساسه الذي يقوم على المشاهدة أو بمنهجه الاستقرائي أما الميتافيزيقا فتتميز بمنهجها التأملي أو أنها تتناول كما

[1] – حسين علي، الميتافيزيقا والعلم، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (دط)، 2006، ص: 75.

[2] – كارل بوبر، منطق الكشف العلمي، تر ماهر عبد القادر محمدّ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت، (دط)، (دت)، ص: 33.

قال بيكون – توقعات الذهن – وهي أشبه بالفروض أو التخمينات. وبوبر لا يقبل هذا الرأي لأن النظريات الحديثة في الفيزياء وخاصة نظرية أينشتاين نظريات تأملية ومجردة في أساسها، وهي بعيدة عما يسمى بأساسها الذي يقوم على المشاهدة. فالوضعيون المنطقيون لا يميلون إلى عد العلم نظاما من التصورات، وإنما يعدونه نظاما من العبارات، فالمعنى في نظرهم هو ما يمكن رده إلى عبارات ذرية تدور حول وقائع ذرية. [1]

من هنا يرى بوبر الميتافيزيقا مازالت مبحثا أساسيا في الفلسفة، حتى لو صنفنا الفلسفة إلى أقسام عدة وأطلقنا عليها مسميات مختلفة، فالفلسفة ستظل تمد بجذورها في أرض ميتافيزيقية وتشرئب بعنقها نحو سماء ميتافيزيقية، حتى ولو كانت الفلسفة علم[2]، يرى بوبر أن الفلسفة ليست تحليل المعاني، وليست محاولة لتوضيحها وتفسيرها، الفلسفة لها وظائف متعددة ولا شك أن بعض القضايا الميتافيزيقية لا معنى لها إلا أنها ذات فائدة للعلم[3]، لقد كان كتاب "منطق الكشف العلمي" الصادر عام 1934 هو أول عمل يعرض من خلاله كارل بوبر انتقاداته لجماعة فيينا وهناك نص آخر هام وهو الفصل الحادي عشر من كتابه "حدوس وتخمينات" conjectures and refutations الصادر عام 1963، والذي عنوانه "التميز بين العلم والميتافيزيقا " الذي كتبه عام 1955 مساهمة منه في كتاب عن "فلسفة كارناب" ضمن سلسلة "مكتبة الفلاسفة الأحياء" التي يشرف على إعدادها شليب p.a.shilpp ومن ثم وجه بوبر في مواضيع مختلفة من هذا الفصل انتقاداته إلى آراء كارناب التي عرضناها في القسم السابق، وصاغ بوبر نقده للمبدأ إمكان التحقيق كمعيار على النحو التالي:

[1] – محمود رجب، الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين، دار المعارف، ط2، 1986، ص ص: 243- 244.

[2] – محمد محمد قاسم ، كارل بوبر، (نظرية المعرفة في ضوء المنهج العلمي)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (ط1)، 1986، ص: 406.

[3] – حنان علي عواضة، موقف الوضعية المعاصرة من الميتافيزيقا (السلب الإيجاب) مجلة كلية الآداب عدد 97، كلية الأداب جامعة بغداد، ص: 483.

"إن نقدي لمبدأ إمكان التحقق كان على الدوام هو ما يأتي: إن ما يؤخذ على الهدف الذي يسعى أنصار هذا المبدأ إلى تحقيقه، هو أن استخدام هذا المبدأ كمعيار لن يؤدي إلا استبعاد القضايا الميتافيزيقية فحسب، بل سوف يؤدي إلى استبعاد معظم القضايا العلمية الهامة، أي سوف يؤدي إلى استبعاد النظريات العلمية والقوانين العامة للطبيعة ".

يرفض كارل بوبر مبدأ التحقق على الأساس نفسه الذي رفض به الاستقراء*، لقد تعودنا في الاستنباط أن نحكم على القضية الجزئية بالصدق إذا كانت القضية الكلية التي تشملها صادقة، أما في حالة صدق القضية الجزئية وحدها فإننا لا نستطيع أن نحكم على القضية الكلية بناء على هذا الصدق بل نكتفي بالقول أنها غير معروفة، ولهذا تأتي نتائج الاستنباط يقينية دائما أما في الاستقراء فالأمر مختلف مما يجعلنا نتساءل: ما الذي يسوغ لنا الحكم بالصدق أو الكذب على قضية كلية من خلال معرفتنا المحدودة لوقائع جزئية تندرج تحتها؟ أو بعبارة أخرى، كيف يمكننا الحكم على ما لم يقع لنا في حدود خبرتنا؟.

بدأت المشكلة عندما بحث "هيوم " في إمكان تبرير اعتقاداتنا، ولما كان الاستقراء هو منهج العلم السائد حينئذ، فقد تساءل "هيوم "هل يسوغ لنا استنتاج حالات أو نتائج تفتقر إلى خبرتنا من حالات منكرة قامت على تلك الخبرة؟، ورغم أن "هيوم "يجيب بالنفي على هذا التساؤل وهو ما يتفق على الاتجاه العام لدى بوبر إلا أن بوبر يرى ألفاظا مثل "اعتقاد" أو "تبرير اعتقاد" وغيرها، مما عرضه هيوم أثناء طرحه للمشكلة لا مجال لها عند النظر في المشكلات المنطقية، ويرى بوبر أن هذه الألفاظ أو الحدود الذاتية يمكن أن تحل محلها حدود موضوعية، فيفتتح بوبر الحديث عن "نظرية تفسيرية" escqlanatory theory بدلا من لفظ "اعتقاد" belief وكذلك[1]، نتحدث "عن قضية ملاحظة"observations tatement، أو" قضية اختبار" test statement بدلا من الحديث

* – الاستقراء كما هو معروف هو ذلك النوع من الاستدلال الذي تنتقل فيه من عدة مقدمات جزئية تسير إلى وقائع وأحداث إلى القانون عام بحيث يصبح هذا القانون قاعدة تطبق في المستقبل على تلك الحالات التي خبرناها في الماضي كما تنطبق على الحالات المماثلة لها ، والاستدلال الاستقرائي بهذا المعنى أداة المعرفة التنبؤية.

[1] –2– حسين علي، الميتافيزيقا والعلم، المرجع السابق ، ص ص: 76، 77، 78.

عن "انطباع" impression ويرى بوبر التحدث كذلك عن تبرير القول أن نظرية ما صادقة بدلا من التحدث عن تبرير اعتقادها.

رفض بوبر فكرة الاعتقاد عند تناوله للمشكلة المنطقية للاستقراء بالتحليل وأحل محلها فكرة "النظرية التفسيرية" لأن الفكرة الأخير ة تتناسب مع ملامح فلسفته ويذهب إلى ان الاستقراء بمعنى "صياغة اعتقاد ما عن طريق التكرار" هو محض خرافة2 رفض إذن بوبر مبدأ الاستقراء بعد تناوله بالتحليل، فيرى أنه لا يمكن أن يكون مبدأ منطقيا خالصا، ويبرهن على ذلك بقوله: "لو أن مبدأ الاستقراء مبدأ منطقي خالص، فلن تكون هناك مشكلة للاستقراء لأن الاستدلالات الاستقرائية تؤخذ حينئذ على أنها منطقية تماما كما هو الحال في المنطق الاستنباطي، أما والأمر غير ذلك فإن هذا المبدأ يصبح قضية تركيبية لا يوقعنا نفيها في التناقض، كما إننا إذا نظرنا إلى الخبرة كمصدر لصدقه فسوف تواجهنا مشكلات أكثر حدة، يتمثل ابسطها في أن البرهنة عليه ستقوم على استدلالات استقرائية، إذ ما حاولنا تبريرها هي الأخرى لافتراضنا لها المبدأ استقرائيا على مستوى أعلى وهكذا تتناهى محاولتنا استناد الاستقراء إلى الخبرة الحسية في هاوية التقهقر للانهائي ".

وبهذا تكون الخبرة الحسية ليست ضمانا كافيا لصدق المعلومة بل إن بعض المعلومات التي تدور حول وقائع غير قابلة للملاحظة قد تكون ذات أهمية عظمى.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو هل المدركات الحسية هي فعلا المصدر النهائي لمعرفة الإنسان بالطبيعة، بحيث تكون هي المعيار الذي يميز المعرفة العلمية؟.[1]

وإجابة بوبر عن هذا السؤال بطبيعة الحال هي بالنفي، فهو لا يرى في الخبرة الحسية أو في شيء آخر مصدرا نهائيا للمعرفة، إنه يرفض تعيين هذا المصدر، بل وينفي إمكانية الوصول اليه ويصر على الترحيب بكافة المصادر، شريطة تعريض نتائجها للنقد، فالخبرة الحسية يستحيل أن تكون – كما يبدي أصحاب مبدأ التحقق- معيارا للعلم يقدم بوبر بعض الانتقادات على هذه الدعامة التي يستند إليها مبدأ التحقق على أساس الحجج التالية:

[1] - المرجع السابق، ص 78.

أ-عملية تعقب أي معلومة إلى أسسها النهائية —حتى وإن كانت معلومة تجريبية- هي عملية مستحيلة، فإذا حاولنا القيام بذلك أدخلنا أنفسنا[1] في سلسلة من الإجراءات المعقدة، ونجد موضوع البحث في النهاية قد ازداد واتسع إلى ما لا نهاية.

ب- حتى الملاحظة الحسية تتضمن في ذاتها تأويل، إنها مصبوغة بمعرفة الملاحظة أما الملاحظة الخالصة فهي مستحيلة، وإن أمكن قيمها فهي عقيمة غير مثمرة بعبارة أخرى القضايا التجريبية ليست محض مدركات صحية، بل فيها شيء آخر أضفاه الذهن هذا النقد من بوبر القائم على أساس توقعات أو فروض العلمية التي تسبق الملاحظة التجريبية.

ج- ثم إن محاولة تطبيق المعيار باتساق، سوف تبطل ما أسماه أينشتاين بالمهمة العليا لعالم الفيزياء، مهمة البحث عن الأسس النظرية العامة.

د- وحتى المعلومات القائمة على الملاحظات الحسية يمكن التحقق منها مباشرة والتي قد تكون ذات أهمية كبيرة، قد تخطئ وبحسن نية، لاسيما إذا كان الحادث مثيرا وجزئيا، أو وقع بسرعة، أو إذا كان من نوعية تغري بالتأويل، وتتطلب تفسيرا معينا، هذا التفسير والتأويل يشوه في معظم الأحيان ما تم رؤيته بالفعل فعملية التحقق الحسي إن أمكن قيامها أصلا، فهي مستحيلة الإمكان الخالص، أي التريه.

هـــ- تظل استحالة التحقق قائمة حتى فيما يتعلق بالقضايا البسيطة لأن كل وصف نستعمل أسماء كلية، مما يجعل لكل قضية _معنى ما _خاصة النظرية آو الفرض أبسط مثال على ذلك القضية التالية "هنا كوب ماء" التي لا يمكن ان تحققها أي خبرة ملاحظة، والسبب في ذلك هو أنا الكليات التي ظهرت فيها لا يمكن أن تقتصر على أي خبرة حسية محدودة، فكلمة "كوب" مثلا تشير إلى أجسام فيزيائية تعرض ما ينصبه القانون في السلوك وكذلك كلمة "ماء"[2]، ويقوم هذا النقد البوبري على أساس نظرية بوبر المنهجية، شبه الكانطية والتي ترى أن الذهن يخلق الفروض

[1] - المرجع السابق، ص ص: 78، 79.

[2] - المرجع السابق، ص: 80، 81.

والتوقعات ثم ينفي الخبرات على أساسها[1]، وبالتالي فالقضية العلمية لديه هي تلك التي تقبل التكذيب فحسب.

إن بوبر يطالب بنظرية تتضمن حلولا لظواهر العلم ومشكلاته وذات محتوى اختباري تجريبي فضلا عن قابليتها للاشتقاق المنطقي، وفق كل ذلك يردها أن تخضع لاختبارات قاسية وأن تعدل، أو يكذب نسق منها، أن تكذب بالكامل عندما تفشل في تجاوز امتحانات الباحثين، هذه النظرية المعززة في نظر بوبر فما يجبر العالم النظري على البحث عن نظرية أفضل (...) هو دائما التكذيب التجريبي للنظرية المقبولة حتى الآن والمعززة.

وعندما يقول بوبر "النظرية الأفضل" يقصد بها النظرية المعززة السائدة في المجتمع العلمي بشكل مؤقت، فإذا كان التعزيز يجعل من مبادئها ومفاهيمها أفضل النظريات الموجودة في السياق العلمي، فهذا لا يبقها خارج إطار النقد، فتعزيز* النظرية يزداد أكثر بازدياد النقد الذي تتجاوزه لذلك يقول: "حتى أفضل النظريات العلمية اختبارا وتعضيدا ليست سوى حدس، فروض ناجحة، وستظل إلى الأبد حدسا أو فروضا"، فإذا كان بوبر يؤمن بوجود نظرية أفضل من أخرى لأنها معززة، فإنه لا يؤمن بحصانتها المطلقة من النقد، لأنها مجرد فرض، لا يمكن تحقيق التقدم العلمي، والاقتراب من الصدق إلا عن طريق نقد هذا الفرض المعزز، والركون لآخر أفضل منه فـــ"العلم نشاط نقدي، إننا نفحص فروضنا بطريقة نقدية، نحن نفندها كي نجد الأخطاء على أمل أن نتخلص من الأخطاء وبهذا نتقرب من الحقيقة "[2]، فإننا إذا ميزنا العلم الإمبيريقي عن طريق التركيب الصوري أو الصوري لقضاياه فلن نكون قادرين إذن على أن نستبعد الصور الميتافيزيقية منها فالوضعية المنطقية أتت ثورة في عالم التفلسف تقلبه رأسا على عقب حين زعمت أن التحليل

*- إذ اصطدمت نظرية ما أمام محاولة الباحثين المتكررة لتكذيب نتائجها من خلال اختبارات قاسية عندئذ نقول عن هذه النظرية لأنها على درجة عالية من التعزيز. (أنظر ماهر اختيار إشكالية قابلية التكبير عند كارل بوبر في النظرية والتطبيق).

[1] - حسين علي، المرجع السابق، ص: 81

[2] - ماهر اختيار، إشكالية معيار قابلية التكذيب عند كارل بوبر في النظرية والتطبيق، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب دمشق ، دط2010، ص ص: 150، 151.

المنطقي يمكنه الكشف على أن المشاكل الفلسفية لغوا بغير معنى، وبوبر لا يرى في هذا ثورة ولا حتى جديد فالوضعيون هم قادة الهجوم في القرن العشرين وبوبر هو المدافع المستخف به عن الفلسفة التقليدية، الذي يصر على أن مشكلاتها حقيقية وليس هناك شيء على وجه الإطلاق —في نظر بوبر- يعر على النقد او حتى يستغني عنه، و لم كان بوبر يرى أن الفلسفة هي الدراسة النقدية للخبرة الحسية وسواها، بدا بوضوح لماذا يعادي بصراحة هذا التوجه الذي يعادي وجود الفلسفة أصلا، النقد دائما هو حجر الزاوية في أفكار بوبر، وهو الآن يصوبه على الوضعية المنطقية.

أما عن منحاها اللغوي في نظر بوبر، هو أيضا ليس بالجديد، الاهتمام بالكلمات ومعانيها واحد من أقدم المشاكل الفلسفية، كان السفسطائي "بريديقوس" مهتما بتمييز المعاني المختلفة للكلمات، فأطلق أفلاطون على هذا الاهتمام اسم "مبدأ بريدقوس"، يقول بوبر إن هذا المبدأ كان جديدا ومهما العام 420 قبل الميلاد فهل نعتبره جديدا ومهما في القرن العشرين؟، ببساطة يرفض بوبر الفلسفات التحليلية اللغوية بتعبير موجز يقول فيه "ما زلت على اعتقادي بان أقصر طريق إلى الخسران العقلي المبني هو هجران المشاكل الحقيقية من أجل المشاكل اللفظية"[1]، هذا لا يعني أن بوبر لا يعتبر اللغة مهمة إنها في نظره أخطر مكونات العالم الإنساني، لكن لا ينبغي أن تدور فلسفة اللغة في متاهات لفظية بل يجب أن تعمل على شرح الوظائف الأربع الأساسية للغة، وهي الوظيفة التعبيرية بمعنى التعبير عن النفس والوظيفة الإشارية والوظيفة الوضعية والوظيفة الجدلية بمعنى النقاشية ويقول بوبر أن اللغة _أيا كان مستواها_ لن تكون لغة إلى إذا كانت قادرة على إثارة استجابة من كائن حي أخر لغات الحيوان أو وسائل تواصله من رقص أو تلامس أو إصدار أصوات أو غيره، قادرة على أداء الوظيفتين التعبيرية والاشارية ثم تتميز اللغة الإنسانية فقط بقدرتها على أداء الوظيفتين الوضعية والنقاشية فاللغة الإنسانية بوظائفها الأربعة ولاسيما العليتن هي علة خروجها من مملكة الحيوان وعلة كوننا بشرا، فالوعي نتيجة لها، إننا ندين بعلمنا

[1] – يمنى طريف الخولي، فلسفة العلم في القرن العشرين، دار المعرفة، (دط)، 2000، ص: 326

وحضارتنا للغة هذا هو الخلاف الأساسي بين بوبر والوضعية المنطقية، إصراره على أن المشاكل اللغوية لم تكن أبدا مشكلة فلسفية، يؤكد بوبر أن المشكلة الفلسفية الوحيدة هي عينها المشكلة العلمية الوحيدة المشكلة الكوزمولوجية أي مشكلة فهم العالم بما في ذلك نحن أنفسنا كجزء من العالم.

أما أن نحيل المشكلة بأسرها إلى متاهات لغوية كما يزعم الوضعيين فإن هذا مرفوض، ولا يمكن أبدا إحلال دراسة اللغة وأنساقها الاصطناعية الرمزية محل دراسة الايستمولوجيا لنمو المعرفة العلمية وتطور محتواها. فقد أخطأ الوضعيون المنطقيون حين حددوا الفلسفة بمشكلة معينة واحدة هي المشكلة اللغوية وأخطئوا حين حددوا منهج الفلسفة بمنهج واحد لا سواه هو التحليل المنطقي[1]. فالقضاء على الميتافيزيقا معناها القضاء على الفلسفة، ويرى المعترضون الوضعية المنطقية أن قضايا الميتافيزيقا البحتة لم يقصد منها منافسة القضايا العلمية بل أن الميتافيزيقا سمحت لنفسها بحث موضوعات لا يستطيع العلم بوسائله الخوض في بحثها، وهي موضوعات تتطلب إعمال العقل، هذه الأمور لا تدخل في نطاق ما تقرره العلوم، فتأثير القضايا الميتافيزيقية في السلوك الإنساني والنظر إلى الأشياء وكيفية الحكم عليها لا يمكن نكرانه، وبالتالي لا تختلف في تأثيرها على الإنسان عن قضايا العلم، إن لم تكن أكثر تأثيرا منها، فكان بوبر من أقوى الذين تصدوا لمناقشة أراء الوضعيين المناطقة، فقد لاقى موقفهم من الميتافيزيقا نقدا شاملا، باعتبار أن الوضعيين المناطقة شددوا الاحتقار للميتافيزيقا بينما نجد بوبر شديد الاحترام للميتافيزيقا وهذا يعود إلى أن معرفة الوضعيين للميتافيزيقا سطحية، بينما "بوبر" واسع العلم بها . أعماله لاسيما "المجتمع المفتوح وأعدائه the open society and its enemies تثير دهشة المختصين من سعة علمه بدقائق تاريخ الفلسفة، إن علمه الواسع بالميتافيزيقا مكونة من أن يترلها مترلة جديرة بها.

[1] – يمنى طريف الخولي، فلسفة العلم في القرن العشرين، المرجع السابق، ص: 127.

كان "بوبر" متناسقا مع نظريته في وحدة المعرفة ووحدة منهجها وهو يشهر في وجه الوضعيين حجة أن الميتافيزيقا تمهد للعلم وأن الجهود المعرفية كلها حلقات في سلسلة واحدة، لقد قال "جوزيف أجاسي" معقبا على هذا الرأي من جانب بوبر "إن نظريات الميتافيزيقية هي وجهات للنظر حول طبائع الأشياء تماما كما كانت نظرية "فارادي " عن الكون كمجال للقوى، وأن الفارق الوحيد بين طبيعة هاتين النظريتين هو أن النظريات العلمية ــكما يرى بوبرــ قابلة للتكذيب بينما النظريات الميتافيزيقية غير قابلة للتكذيب" وبنوه" أجاسي" برأي "بوبر" القائل أن النسق العلمي يحوي بالضرورة عناصر ميتافيزيقية.

وجه كارل بوبر نقدين أساسين لأراء الوضعيين المناطقة في العلم و الميتافيزيقا اولهما أنه اقترح ضرورة إحلال مبدأ "إمكان التكذيب" محل مبدأ "إمكان التحقق" كمعيار للتمييز بين العلم و الميتافيزيقا. ثانيهما أنه رأى أن الميتافيزيقا وإن اختلفت عن العلم فهي مع ذلك وبصورة عامة لها معنى، كما يمكنها في بعض الحالات أن تفيد العلم بطريقة إيجابية[1].

فغاية بوبر هنا أن يثبت أن للفلسفة مسائلها الخاصة التي كانت وما تزال تستدعي البحث والتساؤل بصددها ويؤكد أن الأنساق الفلسفية الكلاسيكية التي اهمها الوضعيون بالبحث في قضايا وهمية لم تكن كذلك، بل كانت لها مشكلاتها الحقيقة الميتافيزيقية التي أعاقت تطور العلم في لحظة معينة، لكن هذا لا يعد دليلا، صحيح أن تاريخ الفلسفة عرف بعض الأفكار التي لا معنى لها لكن هذا لا يعني إدانة الفلسفة كلها، فتاريخ العلم يحدثنا على أن الكثير من الاكتشافات العلمية أو حتى بها نظريات ميتافيزيقية كما هو الحال، والتي كانت في بدايتها مجرد فرضية تفتقد إلى إثبات تجريبي[2]، ويرى بوبر أن التقدم العلمي، لا يعود إلى التراكم المستمر للإدراكات الحسية، فالأخذ بالمعطيات الحسية لا يؤدى بتاتا إلى العلم، فغاية العلم عند بوبر ليست هي تقديم المعرفة الموثوقة والمطلقة لهذا فالموضوعية العلمية تقتضي بقاء القضايا العلمية مؤقتة قد تجتاز الاختبارات فتستحق

[1] – حسين علي، الميتافيزيقا والعلم، المرجع السابق،ص ص: 74،75.

[2] – يمنى طريف الخولي، فلسفة كارل بوبر، منهج العلم...منطق العلم، المرجع السابق، ص: 80.

بذلك درجة التعزيز، إلا أن كل تعزيز يظل نسبيا ومؤقتا، وهكذا تنهار مع سقوط وهم اليقين المطلق في العلم،[1] فالعلم لا يركض وراء سراب المعرفة النهائية أو الحقيقة المطلقة فتلك لم ولن تكون مطلبا للعلم، فمهمة العلم تتجلى في المعالجة الدائمة للمشاكل العالقة والبحث عن حلولها، يرى بوبر انه صحيح أن الميتافيزيقا ليست علما ولكن هذا لا يعني أنها بلا معنى، إنما نجد أن الميتافيزيقا قد تقدم إسهاما معينا في العلم، والدليل على ذلك أن بوبر في تصديره للطبعة الإنجليزية للمنطق الكشف العلمي يصر على: "أنه من الحقائق المسلم بها أن الأفكار الميتافيزيقية البحتة —ومن ثم الأفكار الفلسفية- ذات أهمية قصوى للكزمولوجيا، فمن طاليس إلى أينشتاين، ومن الذرية القديمة إلى تأملات ديكارت عن المادة ومن تأملات جلبرت ونيوتن وليبيتز وبسكوفيك عن القوى إلى التأملات "فرادي "و "أينشتاين "عن مجالات القوى، أضاءت الأفكار الميتافيزيقية معالم الطريق".

فالآراء والأفكار الميتافيزيقية "القضايا الميتافيزيقية" أحيانا تساهم في انطلاق الأفكار العلمية، وبلورت الخيال العلمي بصورة تؤدي إلى صدور نظرية علمية أصيلة، لكن هذا لا يفرض علينا أن ننظر للميتافيزيقا كعلم، إن قضاياه في هذه الحالة لن تناظر أي واقعة موجودة في العالم الخارجي[2].

كما نجد" بوبر "يرفض تمييز "كارناب "بين الحدود النظرية وحدود الملاحظة، فإنه يتعين عليه أن يفسر كل قضية نظرية على أنها جاءت أساسا كوصف لحالة الأشياء الملاحظة، وفي إطار هذا التأويل لن تكون هناك قيمة نظرية —مهما كانت مجردة- لا يكمن رفضها بالمراقبة المباشرة، فمعيار التمييز عند بوبر إنما هو نتيجة لتصوره الميتافيزيقي للعلم باعتباره متسما باطرادات أساسية يمكن أن تعرض في قضايا كلية، والعلم يسلم بقضايا كلية ويختبرها في مواجهة حالة الأشياء الملاحظة، فأي تفكير نظري يمكن تأويله على أنه يقترح قضايا كلية وضعية من النوع الذي اعتمدناه فقد يكمن

[1] – كارل بوبر منطق الكشف العلمي، المرجع السابق، ص ص: 399، 400.

[2] – ماهر عبد القادر محمد علي، فلسفة العلوم (المشكلات الفلسفية)دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، (دط)، 2000، ص ص: 35، 36.

السماح به كقول علمي. أم إذا كان القول أو التفكير النظري معروضا بصورة أخرى مخالفة فإنه لا بد من وصفه بأنه غير علمي، على سبيل المثال التحليل النفسي بالنسبة لكارل بوبر وللقرارات المنهجية، غير علمي لأن نظرياته يمكن تأويلها كقضايا كلية وضعية طالما أنها لا تشير مقدما لحالة الأشياء الملاحظة، فعلى سبيل المثال حالة رجل يدفع بطفل صغير على الماء ليغرقه وحالة رجل أخر يضحي بحياته في محاولة لإنقاذ الطفل فإنه تبعا لوجهة نظر" فريد" الرجل الأول يعاني من "كبت" أو من "عقدة " بينما الرجل الثاني فقد أرضى نزعة الغرور في نفسه.

هنا نجد أن النظام أو التركيب النظري للتحليل النفسي قد يقع تأويله على أنه "لا وضعي" ومن ثم فإنه أجوف خاو تنحصر وظيفته في تزويدنا بتفسير حالة الأشياء الممكنة ومن ثم لا يمكن تكذيب التحليل النفسي للمراقبة لأنه لا يشير إلى حالة الأشياء الملاحظة ولهذا فهو لا علم .

هكذا يتصور بوبر العلاقة بين النظرية والملاحظة في العلوم مؤيد إياها بنموذج اللاتماثل في العلاقة بين القضايا الكلية الوضعية والقضايا الشخصية الوصفية[1].

فالمعيار كما ينظر إليه بوبر منهجي الطابع، لأنه لا ينبغي أن نستخدم أي نوع من التبرير في ميدان العلم الإيمبيريقي، أما في الميتافيزيقا فإننا نجد "بوبر" يصر على ما هو مقبول أو غير مقبول عبر الزمن، إنما هو تغيرات التفسير العلمي، هذه التغيرات تعتبر بمثابة "خطط البحث الميتافيزيقية" للعلم .على هذا النحو تبين أن محتوى المعرفة العلمية في أي وقت هو مؤشر للقرارات المتبادلة على نحو ذاتي، تلك القرارات التي تستند على معايير منهجية مشتقة من" خطط البحث الميتافيزيقية"، فالتمييز بين العلم ولا علم جاء نتيجة للميتافيزيقا[2]، يرى بوبر أنه إذا كان من المكن أن نؤسس نظرية تقترب من الصدق أكثر من نظرية أخرى، إذا فمن الممكن أن نقول أن ما يصفه بوبر كمنهج عقلي للنقد يفضي بنا فعلا إلى نمو المعرفة، إن" بوبر "بقدم لنا مجرد تخمين، ويقترح هذا التخمين معرض للنقد العقلي، وكما نعلم أن النقد العقلي يجب أن يستخدم ليزودنا "بأساس نقدي

[1] – ماهر عبد القادر محمد علي، المرجع السابق، ص: 37، 43.

[2] – المرجع نفسه،ص ص: 37، 43.

جيد" في مقابل التخمين بأن نظرية ما أقرب جدا للصدق بدلا من نظرية أخرى منافسة، وعلى هذا فالحجة الوحيدة التي يقدمها بوبر للتعضيد التقرير القائل بأن "النقد العقلي" يقضي إلى نمو المعرفة تعتمد على منهج "النقد العقلي" ذاته، على اعتبار أنه يزودنا بأساس جيد لنمو المعرفة، النقد العقلي يقوم بتوضيح كيف أن نظرية ما أقرب للصدق من نظرية أخرى ويوضح لنا كيف تكون نظرية ما أفضل من نظرية أخرى بمعنى تصمد أمام الاختبارات الشاقة التي لم تصمد أمامها النظرية الأخرى، وغياب النقد العقلي يؤدي إلى أن تصبح خطة العلم مدمرة تماما، فغياب النقد العقلي في هذه الحالة يعني أن النظريات أن يوضح كذبها فقط، لأنها لا تشير إلى إسهام إيجابي في إطار العلم، وهنا أيضا يبدو النقد العقلي على أنه مسألة "قرار" ميثودولوجي كما سبق أن أشار بوبر إلى هذا.

إلا أن فلاسفة العلوم الذين يمثلون الاتجاه السائد الآن يرفضون رأي بوبر عن مبدأ التكذيب والذين يضعونه في مقابل مبدا التحقق عند الوضعية المنطقية ويجدون أن التكذيب مستحيل منطقيا، كما أن التحقق مستحيل منطقيا[1].

[1] – ماهر عبد القادر، المرجع، السابق، ص ص: 52، 53.

المبحث الثاني: المنزلة الإيبستمولوجية لجدلية العلاقة بين العلم والإيديولوجيا.

رغم الانتقادات التي وجهها كارل بوبر للوضعية المنطقية إلا أنها، كانت موضع نقد للكثير من الفلاسفة، فالمدرسة الوضعية المنطقيية التي تعرضت إلى أشد النقد وأقساه في الغرب لم تسلم من النقد الشديد، والعلمي في شرقنا العربي، فلفلسفة الوضعية تدعي أنها فلسفة علمية مع أن القول بوجود فلسفة علمية قول متناقض لا أساس له من الصحة، فلكل من الفلسفة والعلم منهجه القائم به، فلا يمكن للفلسفة والعلم أن يسيرا وفق منهج واحد باعتبار أن لكل واحد منهج خاص به، فإذا كان العلم يقوم على الملاحظة والتجربة واستخدام منهج الاستقراء، فلفلسفة لا يمكن أن تسير في نفس الطريق بل إنها تستمر في استخدام منهج الاستدلال القائم على التأمل وهذا التيار عرف منذ أوجسيت كونت ومن هنا نرى أن "أباريان" يرفض القول بفلسفة علمية، فهذا القول متناقض ولا أساس له من الصحة[1]، ولهذا نجد "عبد الرحمن بدوي "يقول أن الفلسفة متغلغلة في العلم حتى النخاع "أنها داخلة في صميم العوم الحالية نفسها، إنها المعنى الباطن الذي يزود العالم بالزاد العلمي ويرشد عمله المنهجي" ولهذا حسب بدوي لا يمكن الحديث ن فلسفة علمية يقول بدوي: "الفلسفة يمكن أن تسمى علما بالقدر الذي به تفترض العلوم مقدما ولا تقوم للفلسفة قائمة خارج العلوم وبمعزل عنها وعلى الرغم من إدراك الفلسفة لخصائصها المستقلة، المتغيرة، فإنها لاتنفصل عن العلم"، فمصطلح فلسفة العلم حسب" بدوي "يدور في دائرة العلاقة بين الفلسفة والعلم من حيث أن الفلسفة تقدم للعلم زاده المعرفي، وأساسه الابستمولوجي الذي يجعله أساس له[2]، فالوضعية المنطقية تعتبر التيارا الذي وقع تحت تأثير منهج العلوم أو بصفة أعم الذي يمسك بالتجربة الحسية كمصدر وحيد للمعرفة وبذلك ينكر أن تكون الميتافيزيقا معرفة لأن موضوعاتها لا يكن أن تقع تحت طائلة التجربة الحسية فالوضعيون يشتركون في اعتقادهم بأنهم في فلسفتهم علميون إذ الفلسفة عندهم ليست إلا تحليل اللغة العلمية وطريقتها العلمية أيضا، في هذا الإطار تعرض

[1] – ماهر عبد القادر علي، خرافة الوضعية المنطقية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (دط)، (دت)،ص ص: 80، 81، 82.

[2] – المرجع نفسه ص 85.

الوضعية المنطقية لنقد شديد من وجهة النظر الفلسفية[1]، فمحاولتها صياغة مبدأ التحقق بين القضايا العلمية والميتافيزيقية لم تكن ناجحة تماما وذلك لعدم وجود حدود، على نحو قاطع بين هذه القضايا، خاصة إذا علمنا ان "الفرض" hypothesis بوصفه قضية لا يستطيع العلم بوسائله المتوافرة أن يتحقق من صحته أو بطلانه، إلا أنه يمكن ان يقدم فائدة للعلم دون اعتباره ميتافيزيقا بحيث يمكن أن يكون لهم بعض الحق في رفضهم للتأملات الميتافيزيقية خاصة بمعناها التقليدي، لكن فاتهم أن البحث العلمي ذاته يضفي في طريقه على أساس فروض مسبقة معينة، فنجد "كانط "كان على حق، فالفكرة العامة للسببية مثلا شرط مسبق للعمل العلمي، فالفلسفة حسب المعارضين التقليديين هي متعة عقلية، كما تواجه انتقادات كثيرة من بعض الفلاسفة الذين يشاركونها جزءا من أفكارها، وهذه الانتقادات صاحبة المدرسة منذ نشأتها من أهم الاعتراضات وأشدها قول الكثيرين أنها وضعت أمامها مهمة محاربة الميتافيزيقا، والمذاهب الميتافيزيقية المختلفة، فهي ليست سوى مدرسة هدامة في تاريخ الفلسفة، فالميتافيزيقا في اعتقاد المعارضين هي الفلسفة والقضاء على الميتافيزيقا يعني القضاء على الفلسفة فقضايا الميتافيزيقا لم يقصد بها منافسة القضايا العلمية، بل إن الميتافيزيقا سمحت لنفسها بحث موضوعات لا يستطيع العلم بوسائله الخوض في بحثها، وهي موضوعات يتجلى فيها النظر العقلي، وهي لا تدخل في نطاق ما تقرره العلوم، ولكن تأثير قضايا الميتافيزيقية في السلوك الإنساني لا يمكن نكرانه، وهي بهذا لا تختلف في تأثيرها على الإنسان عن قضايا العلم إن لم تكن أكثر تأثيرا منه[2].

يقول "ماركيوز": "إن التحليل اللغوي يريد أن يكون صحيحا دقيقا واضحا وأن لا أنكر أن يتوصل إلى ذلك أحيانا، ولكنه يظل مع ذلك ناقصا وغير كاف، وهو علاوة على ذلك يلحق أفدح الضرر بالفكر الفلسفي والفكر النقدي"، يرفض ماركيوز منهجية الوضعية المنطقية لأنها

[1] – المرجع السابق.ص: 85.

[2] – حسين علي، الأسس الميتافيزيقية للعلم، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (دط)، 2003، ص ص: 73، 74.

تزدري وتحتقر "المفاهيم" القادرة على تعقل الواقع وكشف "البنيته الاضطهادية "، فمنهج الوضعية المنطقية المستند على تحليل اللغة يجعل الفكر يكف عن أن يكون نقديا.

والمأزق والذي يقع فيه (تحليل اللغة) هو إما أن يكون تجريبيا كاملا لا يقبل سوى القضايا التحليلية للغة والتي تستمد من التجربة، في هذه الحال لا يستطيع أن يعتمد الاستقراء وهو أساس التجربة، أو أن يقبل الاستدلال الاستقرائي.

...وبهذا يكون قبل مبدأ غير تحليلي لا يكمن استخلاصه من التجربة. ومن هنا تكون الوضعية المنطقية قد تخلت عن التجريبية التي تسمي نفسها بها. لقد كانت الفلسفة على مر العصور شيئا أعظم من تكون مجرد (الوضوح اللغوي)ـ حسب رأي ماركيوزـ لقد كانت على الدوام جهدا يبذله الإنسان من أجل فهم نفسه وعالمه... وتمهيدا الطريق لتغيير ما يستحق أن يتغير من الظواهر المحيطة به[1]، يرى "باشلار ": "أن مبدأ التحقق الذي يطرحه الوضعيون لا يصلح أن يكون معيارا مضمونا للتمييز بين ما هو علمي وما هو غير علمي ذلك أن بنية العلم هي الانفتاح والجدل والنفي، فالعلم يتجاوز نفسه باستمرار ويعيد النظر في قيمة مواثيقه، فهو غير ناجز النمو وغير تام الاكتمال " وبهذا ما يعده أنصار الوضعية المنطقية خلوا من المعنى قد يكون مفيد في ميادين عدة وله معنى عند الكثيرين[2]

يقول "آير" ان الوضعية حين جعلت القضايا التجريبية العامة مما تحقق تحقيقا حاسما كانت تطمع فما هو مستحيل، لا يمكن إقامة الصدق الكلي لقضية تجريبية بتأيده الخبرة الحسية لها مهما كثرت حالات تلك الخبرة، فكلما كثرة تلك الحالات كثر احتمال صدق القضية (والاحتمال هنا بمعنى قوة ميلنا نحو تصديقها)، والسبب الذي من أجله لا يمكن للقضية التجريبية أن تتضمن الصدق المطلق إن أيدتها الخبرة هو أنه يندرج تحتها عدد لا متناهي من الأمثلة الجزئية منها ما كان في الماضي و لم يقع تحت خبرتنا، ومنها ما هو قائم في الوقت الحاضر ولكنه لم يقع تحت خبرتنا بعد

[1] – هانز ريشنباخ، نشأة الفلسفة العلمية، تر فؤاد زكريا، وزارة الثقافة، دار الكتاب العربي، للطباعة والنشر، (دط)، (دت)، ص: 87.

[2] – ماهر اختيار، إشكالية معيار قابلية التكذيب عند كارل بوبر في النظرية والتطبيق، المرجعالسابق ص: 79.

لأنه في طي المستقبل، حيث يؤكد "آير" هذا بقوله انهم يخرجون القضايا التجريبية من نطاق القضايا التي لها معنى ودلالة لانهم يحصرون القضايا ذات المعنى فيما يمكن تحقيقها تحقيقا حاسما، أما وأنه بان لنا انه لا يمكن ذلك التحقق للقضايا التجريبية تصبح هذه إذن عديمة المعنى، ولكنهم هم التجريبيون ويستدرك آير بقوله: إن الوضعيين أدركوا أن في موقفهم هذامفارقة_ المفارقة الناشئة _عن تمسكهم بمعيارهم الحاسم لتحقق من جهة ونتيجة بأن القضايا التجريبية التي يتحمسون لها ستصبح حسب معيارهم هذا قضايا ميتافيزيقية وهي ما أنكروها، بحيث يرى "آير" أن الوضعيين أدركوا المفارقة ولكنهم لم يضعوا حلا لهذه المفارقة[1]، وقد قام معيار قابلية التحقق على الخبرة الحسية وملاحظة الوقائع الخارجية والتزام المنهج الاستقرائي في التميز بين العلم ولا علم، إذ وجد "شليك" تطابق الفكرة مع الواقع يمنح الفكرة صدقا مطلقا فإن زميله "رشنباخ" و"كارناب " أعاد النظر في هذه النقطة فوجدو هذا التطابق يمنح الفكرة صدقا محتملا لا أكثر، وقد طور هذا الفكر الابستمولوجي "آير" عندما تحدث عن وجود تحقق بمعناه الضعيف وتحقق بمعناه القوي الأول يعطي الباحث نتائج احتمالية أما الثاني فيمنحه نتائج مطلقة الصدق[2]، فالوضعيون المناطقة في محاولتهم إيجاد بدائل علميه لما يطلقون عليها بازدراء "الميتافيزيقا" قد وقعوا في كثير من الأحيان في مشكلات ميتافيزيقية خاصة بهم، فالبرغم من أنه قد يكون لهم بعض الحق في رفض بعض قضايا الميتافيزيقا التقليدية، فغنهم لم يدركوا أن البحث العلمي ذاته يمضي في طريقه على أساس فروض مسبقة[3]، فإذا عرضنا نقد "كانط" للميتافيزيقا، نجد أنه لم يكن نقدا للميتافيزيقا من خارجها، مثل النقد التي توجهه الوضعية المنطقية، بل هو نقد داخل الميتافيزيقا يستهدف إحياء ها لا تقويضها فهو لم يستهدف هدم الميتافيزيقا بل نظر إلى هذا النقد على انه جزء تمهيدي للميتافيزيقا الجديدة الميتافيزيقا بوصفها علما. معيار مبدأ التحقق الذي استخدمته الوضعية المنطقية كسلاح لهدم

[1] – محمود فهمي زيدان، الاستقراء والمنهج العلمي، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، (دط)، 1977، ص: 199.

[2] – ماهر اختيار، إشكالية قابلية التكذيب، المرجع السابق، ص: 113.

[3] – حسن علي، الأسس الميتافيزيقية للعلم، المرجع السابق، ص ص: 10، 12.

الميتافيزيقا إنهار لأنه من جهة لا يمكن التوصل إلى "التحقق القوي" عن طريق ما أسماه "آير" بالقضايا الأولية أو ما اسماه غيره من الوضعيين المناطقة بالقضايا البروتوكولية، وبالتالي يصبح "التحقق الضعيف" وهو ذلك النوع الذي تعتمد عليه كافة العلوم الطبيعية والإنسانية غير مبرر، ومن جهة أخرى، فإننا لا نستطيع استخدامه سلاحا ماضيا ضد كافة المذاهب الميتافيزيقية بغرض استبعادها، فالوضعية المنطقية في رفضها للميتافيزيقا ومحاولتها بناء لغة واحدة للعلوم وجدت نفسها مرتمية في أحضان ميتافيزيقا من نوع جديد تستهل بالتحليل المنطقي كمنهج وبناء.

فمحاولة الوضعيون المناطقة لصياغة مبدأ التحقق لم تكن ناجحة في الفصل بين القضايا العلمية والميتافيزيقية، فالذي اتخذته الوضعية المنطقية محورا مركزيا في فلسفتها بغرض استبعاد الميتافيزيقا، لم يكن قادرا على الاستبعاد الكلي لها، مما خلق خلافات داخلية بين أقطابها[1].

فمبدأ التحقق هو ذاته لا قضية تحليلية ولا قضية تركيبية تقبل التحقق فالقضية قد لا تقبل التحقق لأسباب منطقية أو لأسباب فنية قاصرة على الوقت الراهن، أو لأسباب فيزيائية ...إلخ، فأي من هذه الوجوه يحمل معه الخلو من المعنى[2]، فقد أعلن" همبل "رفضه التحقق على أساس رفض الاستقراء، كما كانت محاولة "كارناب" لتمييز المعرفة العلمية، تطيح تمام بمعيار التحقق، وتضع بدلا منه محاولة جديدة للتمييز بين العلم والأعلم، وهي المتمثلة فيما أسماه "كارناب" بلغة العلم language of science، وقد وضعها متأثرا بمناقشاته مع "بوبر"_ إذ أكدت الصعوبات التي حاقت بمعيار التحقق –من ناحية وبعبقريته هو الرياضية من ناحية ثانية وبنزعته اللغوية المنطقية جدا من ناحية ثالثة [3]، ولعل من الصعوبات التي واجهها أولئك الفلاسفة في محاولتهم لرد القضايا التي يكمن أن تقال إلى جملة من القضايا الأولية أو "البروتوكولية"، تبين إلى أي حد يستعصى الخلاص من "أوهام الميتافيزيقا"، وعلى حد تعبير (أي، جي، آير) لقد عومل الميتافيزيقي لا بوصفه

[1] – السيد نقادي، معيار الصدق والمعنى في العلوم الطبيعية والإنسانية "مبدأ التحقيق عند الوضعية المنطقية "، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، (دط)، 1991، ص: 66.

[2] – يمنى طريف،الخولي، فلسفة كارل بوبر منهج العلم ...منطق العلم "، المرجع السابق، ص ص: 240، 241، 243.

[3] – المرجع نفسه، ص: 245.

مجرما بل بوصفه مريضا قد يمتلك من الأسباب المقنعة ما يجعله يقول الأشياء الغريبة التي يقولها، بيد أنه من شأن تطبيق الأحكام المعيارية ــ التي أطلقها الوضعيون – على السياقات العلمية النظرية التي ترغمنا على الحديث عن "أوهام العلم" الذين يجلونه، فلا أحد يستطيع أن ينكر الأثر البالغ الذي تركه كتاب "فيتجنشتين" على أعضاء حلقة فيينا (الإرهاصة الأولى لحركة الوضعية المنطقية)، غير أنه وكما يقول "آير" لن يكون من الصحيح أن نقول أن حلقة فيينا قد استلهمت منه، وعلى وجه الخصوص رفض الكثير من أنصار المذهب الوضعي المفهوم الذي طرحه "فيتجنشتين" للفلسفة، وحتى "فيتجنشتين" نفسه قد عدل من صرامة موقفه الوضعي المبكر خاصة في كتابه "أبحاث فلسفية"، هكذا انتهى "آير "في استقرائه[1]، إلى تقرير وجود تعددية في التصورات التي يطرحها أنصار الوضعية المنطقية للوظائف التي تتعين إناطتها بالنشطات الفلسفية، قد نسلم مع الوضعيون المناطقة بأنه يستحيل على أي كائنات متناهية التحقق من مصداقية القضايا الميتافيزيقية، إلا انه بإمكان اعتبارها فروض عن الإجابات التي يمكن للقدرات المعرفية الأكثر كمالا (أو الكاملة) أن تطرحها لأسئلتنا، المر الذي يستلزم أنها قضايا ذات معنى[2].

لقد واجه الوضعيون المناطقة مشكلة العلاقة بين الخبرة والنظريات العلمية بأحد التفسيرين: الأول يزعم أن النظريات العلمية لا بد أن تختبر في مواجهة الخبرة المباشرة، بمعنى منطوق النظرية التي يذهب إليها العالم يجب أن يناظر الخبرة بكل وقائعها على أن يكون التناظر "تناظر واحد لواحد" وهو الرأي الذي يشير إليه "شليك "في أول صياغة لمبدأ التحقق، عرفت في دائرة فيينا القديمة حيث أنه: "لنفهم قضية ما ينبغي أن نكون قادرين على أن نشير بدقة للحالات الفردية التي تجعل القضية صادقة، وكذلك التي تجعلها كاذبة، وهذه الحالات هي وقائع الخبرة، فالخبرة هي التي تقرر صدق القضايا أو كذبها"، وهذا يعني من جانب "شليك" ان القضية العلمية لا يمكن تقرير صدقها أو

[1] – فردريك وأيزمان وآخرون، كيف يرى الوضعيون الفلسفة، تر نجيب الحصادي، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع ، دار الآفاق الجديدة، (دط)، (دت)، ص ص: 13، 14، 15.

[2] – المرجع نفسه، ص: 159.

كذبها إلا بعد إحالتها للخبرة المباشرة، وهنا وجد أن كل جزء من أجزاء القضية التي لدينا يناظر واقعة أو شيئا في العالم الخارجي فالقضية تكون صادقة اما إذا وجدنا أجزاء لا نظير لها في العالم الخارجي فإن القضية تصبح كاذبة وهذا ما يأكد فكرة "شليك "عن "تناظر واحد لواحد" وهذا ما يبد في قوله: "أن نشير بدقة للحالات الفردية"، من هنا فتفسير "شليك" أبعد ما يكون عن الصواب والدقة المنطقية فالقضية العلمية التي تقرر أن "أن الحديد يتمدد بالحرارة " إذا ما أردنا اختبارها وفق فكرة "شليك "تحتم علينا ضرورة استبعادها من إطار قضايا العلم، فإذا رجعنا على الخبرة المباشرة نجد لدينا قطعة من الحديد يمكن أن نلمسها ونتأكد أنها كذلك، ونجد الحرارة التي نشاهدها عيانا ونشعر بأنها تسبب الإحراق، أما لفظة "يتمدد" فلا نجد لها مقابل حسي في الواقع التجريبي فليس هناك من بين الأشياء الخبرة ومعطياتها ما يمكن أن نطلق عليه اللفظ "يتمدد" بنفس الصورة التي نطلق بها اللفظ "حديد" أو "معدن" أو "حرارة ".

فما يجعل فكرة "شليك "توصف بالفساد هو أنه من بين المكونات اللغوية للقضايا العلمية والنظريات،، ألفاظا تشير إلى علاقات مما تقبل الفهم العقلي فحسب مثل "على يمين" "على الشمال"، "فوق"، "تحت"، "أكبر من"، "أصغر من"، وهكذا مثل هذه العلاقات ليست بأشياء مادية يمكن أن نجدها في الخبرة.

ومن جانب آخر يصف " شليك" القضايا العلمية بأنها ذات طابع مؤقت، ينتهي بانتهاء صياغتها والرجوع إلى الملاحظة، فإذا اكتشفنا معطيات جديدة في عالم الخبرة وأردنا أن نختبر هذه المعطيات بالرجوع إلى قضايا الملاحظة الأولى فمثل هذا الإجراء يفقد قيمته العلمية، فمادام قضايا الملاحظة تتصف بأنها ذات طابع مؤقت، فإنها تصبح عرضة للخطأ الذي يرجع إلى التغيرات التي تطرأ على الذاكرة او الخطأ في الكتابة، أو الكثير من العوامل الأخرى التي تفقدها خاصيتها الأساسية[1]، معنى هذا انه لن يمكننا أن نستخدم قضية أو نظرية علمية توصلنا إلى الماضي في إجراء نقوم به حاليا،

[1] – ماهر عبد القادر محمد علي، فلسفة العلوم "المشكلات المعرفية "، المرجع السابق ، ص ص: 27، 28

لأننا بذلك نسمح بالخطأ في العلم من أوسع أبوابه، من هنا علينا أن نختبر كل قضية علمية سبق لنا التوصل إليها، وكأن شليك يريد أن يجرد العلم من خاصية التراكم الإبستمولوجي وخاصية الاتصال، وهذا ما لن يقبله العلم والفلسفة[1]، أما التفسير الثاني فيقدمه "نيراث" الذي قطع كل صلة له بالخبرة وعالم الوقائع وحصل تفكيره في عالم اللغة المجرد، حيث أصبحت الخبرة في نظره جوفاء وبلا معنى تماما مثل الميتافيزيقا، حيث يرى "أن القضايا تقارن بقضايا مثلها، لا بالخبرة او الواقع، أو بأي شيء أخر ، فالخبرة أو الواقع أمور بلا معنى وتنتمي للميتافيزيقا، ومن ثم لا بد من رفضها"، من هذا القول نكتشف حقيقة تفكير" نيراث" الفاسد، إذا انه كيف يمكن لنا منطقيا أن نتوصل إلى قضايا علمية من الخبرة ثم لا نختبر هذه القضايا بالرجوع إلى الخبرة؟، وكيف يكمن أن نتوصل إلى قضايا علمية من الخبرة، ثم نرفض الخبرة ونصفها بأنها جوفاء وبلا معنى؟، وهل يمكن للخبرة إذا كانت جوفاء حقا أن تمدنا بقضايا ذات معنى؟ هذه التساؤلات لا تجد حلول لها عند "نيراث". فالقضايا التي يريد "نيران "أن يستخدمها أساس للمقارنة هي قضايا البروتوكول تتسم بالفردية المطلقة ولا يمكن نقلها من الفردية إلى الجمعية، لأننا نشير فيها إلى أن الذي يدرك أو يلاحظ هو فلان على وجه الخصوص، وهو يلاحظ في المكان والزمان المحدد، ومن ثم فان القوانين أو النظريات العلمية التي يتوصل إليها عالم من العلماء لا تصلح لأن يستخدمها أخر، لكونها فردية وغير صالحة للاستعمال إلا بواسطة من توصل إليها فحسب.

من هنا يظهر لنا فشل الوضعية المنطقية لتصوير العلاقة بين الخبرة والنظرية العلمية وحتى من أرادوا إنقاذها وتصحيح مسارها مثل "كارناب" و "آير "اضطروا أخيرا للتخلي عنها بعد إن اكتشفوا استحالة الاستمرار في إطارها[2]، فالقضية قد تكون علمية تجريبية، ولكنها مستحيلة التحقق_ الآن على الأقل_، فقولنا مثلا (ثمة جبال على كوكب أورانوس) يستحيل هنا أن نذهب إلى أورانوس لنتحقق منها كذلك قوانين العلم بطبيعة الحال مستحيلة التحقق، إذ ليس هناك أي مجموعة من

[1] – ماهر عبد القادر محمد علي، فلسفة العلوم "المشكلات المعرفية "، المرجع السابق ، ص ص: 27، 28

[2] – المرجع نفسه ، ص: 30.

الخبرات يكون اكتسابها مكافئ لصدق قانون علمي، وهذا ما تنبه إليه "فيتجنشتين "مؤكدا في رسالته أثناء بحثه للمنزلة المنطقية للقضايا العلمية على أن الكثير من العبارات العامة في العلم لا تحتاج إلى معاملتها على أنها ذات صدق للقضايا الأولية، لأنها ليست تجريبية وبالتالي ليست قضايا بالمعنى الدقيق، هي على الأصح توصيات بمنهج لتمثل فئة معينة من الظواهر هكذا نجد أن معيار التحقق بعد أن كان غاية في القوة والمضاءة قد قنع بأن يحل محله معيار التأييد الذي هو في غاية الضعف والتواضع إذ يقنع فقط بإمكان تأييده أي قضية لكي يقول أنها ذات معنى، ومع هذا لم يستطع أن يؤدي المهمة بجدارة أو أن ينجو من الصعوبات ومن النقد العنيف[1]. إذ آير: أن موقف الوضعيين المناطقة، في يقين القضايا الأولية خيانة لمذهبهم لا يتسق واتجاههم العام: اتجاههم العام هو الثورة على الميتافيزيقا، والدعوة بالأساس التجريبي، ولكنهم أنكروا الالتجاء إلى الخبرة الحسية في موقفهم من تحقيق القضايا الأولية، وأصروا أن يكون تحقيقها فقط في إطار النفقات اللغوية، بحيث أرادوا توجهينا نحو معرفة شاملة للألفاظ واللغات دون أن تستند تلك المعرفة إلى عالم الوقائع. كأنهم يقولون أن العالم الحقيق هو عالم الألفاظ، أما عالم الواقع فهو عالم وهمي illusory. وهذا يذكرنا بالتفرقة الأفلاطونية بين عالم المثل وعالم الحس، يتضمن موقف الوضعيين لا أن نقول (كان يوجد رجل اسمه " سقراط") وإنما نقول فقط (" سقراط" اسم).[2] فالوضعية المنطقية تفتقد إلى معيار دقيق هو التمييز بين العلم ولا العلم، يعتقد الوضعيون أنفسهم أن أفكارهم فوق مستوى النقد، وهم في هذا لا يرضون بفلسفتهم العلمية أن تمتثل للنقد والتفنيد والرفض، ونحن نعلم أن من أدق خصائص الأنساق والنظريات العلمية أنها تخضع للنقد والتفنيد والرفض، وتسمح بإحلال بدائل أخرى أكثر بساطة، وأشد تماسكا، وأدق تعبير عن الحقيقة العلمية، أما الأنساق الميتافيزيقية غير قابلة للنقد والتفنيد والرفض، لأنها تعبر عن الأشياء من منظور أحادي لا تشترك معها فيه أي مواقف أخرى، ومن ثم لا تنطبق عليها خاصية التفنيد، إن تلك الحالة تنطبق تمام على

[1] – يمنى طريف الخولي، فلسفة القرن العشرين، دار المعرفة، (دط)، 2000، ص ص: 292، 293.

[2] – محمود فهمي زيدان، الاستقراء والمنهج العلمي، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، دط، 1977، ص ص: 194، 195.

الوضعية المنطقية إذ أنها لو كانت " علمية " لا خضعت للتفنيد، لكنها لم تخضع، ولو كانت مجرد " موقف فلسفي " لا سمحت بوجود منظورات أخرى للحقيقة، لكنها لا تعترف بغير المنظور الوضعي المنطقي، الذي عماده تحليل عبارات العلماء وبيان تركيبها، إنها وجهة نظر واحدة صوب الحقيقة، لا تفسح المجال لصوت معارض، يختلف معها حول تصور الحقيقة، إنها أشبه بالحزب الواحد وكثيرا ما صورت لنا كتب الفلاسفة التقارب الشديد بين الوضعية المنطقية وأقطابها، والأحزاب الماركسية، في البلدان التي انهارت فيها سياسة الحزب الواحد والمنظور الأحادي للحقيقة. [1]

لا يمكن أن ننكر أن الوضعيين المناطقة قدموا خدمات معرفية كبيرة في تطوير العلم مما يستجيب لشروط وقوانين العمل العلمي التجريبي على وجه التحديد وساهموا في بناء لغة العلم على أسس منطقية وضعية وتجريبية علمية لكن هذا التميز الذي أقاموه بين لغة العلم الدالة على المعنى ولغة الميتافيزيقا الخلو من المعنى هو الذي زاد من تعميق الفجوة بين الفلسفة والعلم فبمحاولتهم هدم الميتافيزيقا والقضاء عليها تماما زرعت بهذا أسلاك شائكة بين الفلسفة والعلم وهذا من خلال مبدأ التحقق الذي أرادت من خلاله استئصال الميتافيزيقا وهذا ما جعلها تتعرض للنقد حتى من طرف أعضائها.

[1] – ماهر عبد القادر محمد علي، خرافة الوضعية المنطقية، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، دط، 1994، ص ص 22- 23.

خاتمة

من خلال قراءتنا لإبستيمولوجيا العلم والإيديولوجية عند الوضعية المنطقية، تبين لنا أن الموضوع ينتمي إلى فلسفة العلوم بامتياز على الرغم من ضخامته وسعته، وعلى الرغم من ضيق الوقت.

كما أن الموضوع يبدو حاملا لكثير من الاستنتاجات:

- **استنتاجات إبيستيمولوجية:**

– الكشف عن مدى تأثير الأفكار والمعتقدات والثقافات على الفكر الإنساني عموما والفكر العلمي خصوصا ولهذا يظهر مدى تأثير الإيديولوجيا على العلم من بعيد أو من قريب.

– الكشف عن علاقة العلم بالواقع وإبراز معنى القول أن الواقع العلمي واقع منشأ وليس واقعا معطى على حد تعبير فلسفة " غاستون باشلار " أو فلسفة " توماس كوهن " الإبستيمولوجيين.

– تجاوز النظر إلى الواقع العلمي بأنه بسيط والوعي بطابعه المركب، وتجاوز النظر إلى العلم بما هو اكتشاف للنظام الكامن خلف الفوضى الظاهرة والوعي المستقل، لكن العلم هو الذي ينتج نظامه ويحكم تنظيم الأشياء والوقائع.

– التأكيد على الطابع المركب للبناء العلمي من جهة بعده التركيبي والدلالي والتداولي.

- **استنتاجات عملية أو إيتيقية:**

– الكشف عن الطابع الإيديولوجي الضمني أو الصريح للعلم والوعي بمتزلته و الغايات في المعرفة العلمية.

– بيان طبيعة العلاقة بين العلم والإيديولوجيا وسبل توظيفها في علاقتهما بالواقع الإنساني.

– بيان ما يلف الحديث عن الإيديولوجيا في العلم من لبس وتظنن من جهة علاقتها بما هو إبستيمولوجي أو بما هو دوغمائي.

أولها: ترتبط مقاربة العلم في علاقته بالإيديولوجية بكثير من التصورات أو المعارف التي قد لا يفقه سرها إلا ذوي الاختصاص، وهو ما يعسر إدراجها ضمن مجال إبستيمولوجي أو قراءة إبستيمولوجية موجهة إلى المهتمين والمتخصصين بحقل فلسفة العلوم.

ولعل وعينا بهذه الصعوبة هو الذي قادنا إلى التفكير في الإيديولوجيا من جهة إبستيمولوجية لا من جهة سياسية، وهو ما يدعونا إلى التنبيه أن الأمر لا يتعلق بتحويل موضوع الإيديولوجيا إلى درس سياسي أو اقتصادي ديني بل إلى درس في الفلسفة والإبستيمولوجيا وعلى الخصوص في فلسفة العلوم أو درس من طبيعة إبستيمولوجية خالصة، دون أن يعني ذلك عدم التفكير في نموذج سياسي أو اقتصادي يمكن أن يقدم كمثال توضيحي للمسألة.

ثانيها: يبدو اختيار موضوع بحثنا هذا حاملا لمزالق قد تبعدنا عن غايات إبستمولوجية، وتتمثل هذه المزالق في تحول الموضوع إلى محاكمة للعلم بدل الوعي بآليات إنتاجه وقيمته، فرهان فلسفة الإيديولوجيا قد يبدو ملتبسا على غرار استنتاجات أخرى كالثقافة والدين والفن وغيرها من المفاهيم الملتبسة في أذهاننا. إذ تتنزل مسألة الإيديولوجيا وهو ما يجعلها مسالة ملتبسة في مجتمع مثل مجتمعنا الذي لا زالت تسيطر عليه الخرافة والدوغمائية والتسليم الجاهز على الأذهان، حتى لا نقول أنه لم يرتق بعد إلى الحداثة، لذلك تحدثت عن مزالق وجب أن نعي بمخاطرها، مزالق قد تنتهي بنا إلى النظر إلى العلم على أنه مجرد تمثل لا يختلف نوعيا عن بقية التمثلات دينية كانت أو ميتافيزيقية أو أسطورية، ناهيك هن المزالق القيمية.

ما ينبغي التأكيد عليه في تقديرنا أن العلم يظل علما رغم كل شيء وأن المهمة النقدية لفلسفة العلوم والمعرفة تهدف لا إلى تشريع اليأس من العلم وإنما تحريره من عنف الإيديولوجيا أو من عنف الدوغمائية.

ثالثها: قدم محتوى الموضوع المسألة مفصلة تقريبا، بحيث ميز بين المفاهيم في الفصل الأول على الخصوص، أو ثنايا البحث، وهو تقسيم من طبيعة منهجية وإجرائية بالأساس، إذ لا نعثر في الأدبيات الخاصة بالمفاهيم التي ذكرناها سلفا في النصوص الفلسفية السند لموضوع بحثنا هذا، ذلك

أن هذه المفاهيم متداخلة ومترابطة فيما بينها، إذ لا يمكن استحضارها كلها في هذا المقام حتى وإن كانت ضرورية ومهمة جدا.

لذلك يتطلب الأمر فحص ودراسة دقيقين وعميقين إلى هذه المفاهيم في ترابطها من ناحية مع التركيز في مستوى إستراتيجية البحث الأكاديمي المتخصص والذي يتمحور حول مفهوم مركزي واحد من شأنه أن يفي بالنظرة الشاملة المعمقة لمثل هذه المسائل الفلسفية، في مقابل النظر إلى بقية المفاهيم على أنها تتنزل في مقام ثان، أي أن اختيار السند يكون مقترنا باختيار الهدف والتركيز في مستوى معالجة السند ومتابعة حركة الأفكار فيه على هذا الهدف.

ولهذا فقد حددنا موضوع بحثنا هذا الموسوم بـــ " العلم والإيديولوجيا " الوضعية المنطقية دراسة تحليلية نقدية " من أجل البحث في مدى علاقتهما والتأثير المتبادل ضمنيا.

ونظرا لما يتطلبه هذا الموضوع من دراسة معمقة، ونظرا لتداخل المفهومين وتشابكهما، فإننا نجده من الموضوعات التي لا يتناولها الكثير من علماء العرب والمسلمين بنوع من التحليل، مما أوجد نقصا في المكتبة العربية لمثل هذا النوع من الأبحاث وخاصة في بعدها الإبستيمولوجي الفلسفي، ولسنا ندري، هل هو عجز في الإبداع أم ضرورة للإتباع أم عدم أهمية الموضوع بلا إقناع ؟ وبالجملة نختتم بحثنا هذا بجملة من الاستنتاجات وهي كما يلي:

- إن الحقيقة العلمية لم تعد بعيدة عن بعض المؤثرات ومنها الإيديولوجيا كما ترسخ الاعتقاد عند البعض.
- إن المعرفة البشرية لم تعد تقتصر على مبدأ عدم التناقض، بل يمكن أن تتأسس على التناقض والتضاد.
- إن ما أثاره مفهوم وتوظيف الإيديولوجيا من ردود أفعال متباينة لم يثني العلماء والفلاسفة على الخوض فيه وخاصة في فلسفة العلوم المعاصرة.

إن من مثل هذه الموضوعات بالنسبة لفلسفة العلوم علامة الخصوبة الفكرية التي يمكن معالجة مثل هذه الإشكاليات.

في عصر العلم المعقد تبرز أمامنا المشكلات العلمية والإبستيمولوجية التي تحتاج منا إلى تحليل وحل جذري لها. ومن تلك المشكلات العلمية والإبستيمولوجية مشكلة المعرفة العلمية والإيديولوجيا.

وفي ختام هذا البحث الأكاديمي يمكننا أن نقول أن إشكالية العلاقة بين العلم الإيديولوجيا ترتد إلى سياق إبستيمولوجي أكثر منها إلى سياق تاريخي مفاهيمي على الرغم من أهمية التاريخ وبلورة المفاهيم في مثل هذه الدراسات وهي التي حملتها فلسفة العلوم على عاتقها بغرض الكشف عن المستور والخفي وتلك هي المهمة والغاية التي تأسست عليها. لكن ألا يمكن أن يكون الأمر مجرد سوء تعامل مع المفاهيم والموضوعات ؟

هل نحمل فلسفة العلم محمل الجد ؟ ألا يمكن أن يعد العلم والإيديولوجيا نفسه مناظرة سلبية يمكن الاستغناء عنها ؟. هذا فرض يحتاج إلى اختبار من أجل التأكيد أو الإبطال.

تم بفضل الله وحمده

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع بالغة العربية:

أولا:قائمة المصادر:

- أ.م بوشنسكي، الفلسفة المعاصرة في أوربا، تر: عزت قرني، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، دط، 1980.

- ألفريد جولس آير، الفلسفة في القرن العشرين، تر: بهاء درويش، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، دط، 2006.

- ألفريد جولس آير، من الوضعية المنطقية إلى التحليل الفلسفي، تر: بهاء درويش، منشأة المعارف جلال حزي وشركائه، الإسكندرية، دط، 2001.

- بير تراند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية (الكتاب الثالث، الفلسفة الحديثة)، تر: محمد فتحي الشينطي، المصرية العامة للكتاب، دط، 1977.

- دونالد جليز، فلسفة العلم في القرن العشرين، تر: حسين علي، التنوير، بيروت، لبنان، ط1، 2009.

- رودولف كارناب، الأسس الفلسفية للفيزياء، تر: السيد نفادي، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، دط، دت.

- عبد الله العروي، مفهوم الإيديولوجيا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط7، 2003.

- فريدريك وايزمان وآخرون، كيف يرى الوضعيون الفلسفة، تر: نجيب الحصادي، دار الجماهرية للنشر والتوزيع، دار الآفاق الجديدة، دط، دت.

- كارل بوبر، منطق الكشف العلمي، تر: ماهر عبد القادر محمد، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، دط، دت.

- لود فيج فيتجنشتينن رسالة منطقية فلسفية، تر: عزمي إسلام، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

ثانيا: قائمة المراجع:

- إبراهيم مصطفى إبراهيم، فلسفة العلوم، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية ط1، 2000.

- أحمد حنفي وآخرون، قضايا العلوم الإنسانية " إشكالية المنهج "، الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، دط، دت.

- أحمد حيدر، من الإيديولوجيا إلى الفلسفة والدين، دار الجنوب للنشر والتوزيع، ط1، 2002.

- إمام عبد الفتاح إمام، مدخل إلى الميتافيزيقا، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2005.

- بدر الدين مصطفى، زعادة الإيمان، الميتافيزيقا، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط1، 2012.

- بهاء درويش، دراسات في الفلسفة المعاصرة، منشأة جلال حزي وشركاؤه، دط، 2001.

- حبيب الشاروني، قراءة للمصطلح الفلسفي، تر: عبد السلام جعفر، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية، دط، 1998.

- حسين علي، الأسس الميتافيزيقية للعلم، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، دط، 2003.

- حسين علي، الميتافيزيقا، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، دط، 2006.

- حسين علي، ماهية الفلسفة، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 2006.

- راجح عبد الحميد الكردي، نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، مكتبة المؤيد الرياضي، دط، دت.

- السيد نفادي، معيار الصدق والمعنى في العلوم الطبيعية والإنسانية " مبدأ التحقيق عند الوضعية المنطقية"، دار المعرفة، الإسكندرية، دط، 1991.

- الشريف زيتوني، مشروعية الميتافيزيقا من الناحية المنطقية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، دط، 2006.

- عادل السكري، نظرية المعرفة من سماء الفلسفة أرض المدرسة، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1999.

- عاطف أحمد، نقد العقل الوضعي (دراسة في الأزمة المنهجية لفكر زكي نجيب محمود)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1980.

- عبد السلام بن عبد العالي، الميتافيزيقا العلم والإيدولوجيا، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط2، دت.

- عبد الفاتح الديدي، الاتجاهات المعاصرة في الفلسفة، الدار القومية للطباعة والنشر، دط، دت.

- عطيات أبو سعود، الحصاد الفلسفي للقرن العشرين، منشأة المعارف جلال حزي وشركاؤه، دط، دت.

- فاروق عبد المعطي، نصوص ومصطلحات فلسفية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993.

- فضل الله محمد إسماعيل، الإيديولوجيا وفلسفة لحضارة، مكتبة بستان للمعرفة، الإسكندرية، دط، 2005.

- لخضر مذبوح، فلسفة كارل بوبر، دار الألمعية للنشر والتوزيع، ط1، 2011.

- لطفي بركات فلسفة الوضعية المنطقية والتربية، دار النهضة العربية، دط، 1967.

- مالك عبيدة أبو شهيوة وآخرون، الإيديولوجيا والسياسة، الدار الجماهيرية، ليبيا، دط، 1993.

- ماهر اختيار، إشكالية معيار قابلية التكذيب عند كارل بوبر في النظرية والتطبيق، منشورات الهيئة العامة السورية للكتب، دمشق، 2010.

- ماهر عبد القادر محمد، فلسفة العلوم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دط، 2003.

- ماهر عبد القادر، خرافة الوضعية المنطقية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دط، دت.

- محمد جواد حفنية، مذاهب فلسفية وقاموس مصطلحات، دار الجواد، بيروت، لبنان.

- محمد سبيلة وعبد السلام بن عبد العالي، الإيديولوجيا، دار توبقال، المغرب، ط1، 1999.

- محمد عابد الجابري، مدخل إلى فلسفة العلوم، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، دط، دت.

- محمد عبد الرحمان مرحبا، المسألة الفلسفية، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط2، 1977.

- محمد فهمي زيدان، الاستقراء والمنهج العلمي، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، دط، 1977.

- محمد محمد القاسم، كارل بوبر (نظرية المعرفة في ضوء المنهج العلمي)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 1986.

- مصطفى النشار، نظرية العلم الأرسطية، دار المعارف القاهرة، ط2، 1995.

- نجيب الحصادي، تقريظ العلم، الدرا الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلام، ط1، 1990.

- يمنى طريف الخولي، فلسفة العلم في القرن العشرين، دار المعرفة، دط، 2000.

- يمنى طريف الخولي، فلسفةكارل بوبر، " منهج العلم... منطق العلم "، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، القاهرة، ط5، دت.

قائمة الموسوعات والمعاجم:

- إبراهيم مدكور، المعجم الفلسفي، القاهرة، دط، دت.

- أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الثاني، دراسة (Q ,H)، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط2، 2001.

- جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب، تونس، دط، 1991.

- جميل صليبا، المعجم الفلسفي ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط2، دت.
- عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- عبد المنعم حنفي، موسوعة الفلسفة والفلاسفة ج2، من (ط إلى ي).
- فؤاد كامل وآخرون، الموسوعة الفلسفية المختصرة، مراجعة زكي نجيب محمود، دار القلم، بيروت، لبنان، دط،دت.

قائمة المجلات والدوريات:

- حنان عواضة، موقف الوضعية المعاصرة من الميتافيزيقا (السلب، الإيجاب)، مجلة كلية الآداب، العدد 97، جامعة بغداد.
- سبعي جمعية، صديق آسيا، الوضعية المنطقية وإشكالية اللغة، مذكرة لنيل شهادة الليسانس في الفلسفة، عمل غير منشور، معسكر، 2008، 2009.
- محمد الأزرق "الروح العلمية في فلسفة غاستون باشلار "، مذكرة شهادة الماجستير في الإيبستيمولوجيا، جامعة وهران، 2004.

قائمة المصادر با للغة الاجنبية:

- james Burnham : suicide of the west (an essay on the meaning and besting of liberalism), jonathan cape, London 1965.
- Davide Easton : A systems analysis of political life, johen wiley, N. y, 1965.

الفهرس